مجلة البيان – العدد 28 ، شوال 1410هـ / مايو 1990م

الافتتاحية

صناعة الفكر

في هذه الأيام التي لا نزال نتلمس فيها طريق النهضة وطريق التغيير ، نحن بحاجة إلى مفكرين (فقهاء) وبالمعنى العام لكلمة (فقه) وهي : الفهم العميق للإسلام ، كما دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لابن عباس «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

نحن بحاجة إلى فقهاء علماء يعرفون سنن التغيير وأمراضنا الاجتماعية وواقعنا وواقع غيرنا تمام المعرفة ، وما هي الخطوات المرحلية التي يجب أن نبدأ بها ، وإذا كان الغرب ينتقل إلى الهم الاقتصادي والثورة (التقنية) فإننا في بلاد المسلمين لازلنا بحاجة إلى التخطيط الفكري ؛ فإن هذه البضاعة لا تزال عزيزة ، وإذا وجدت فإنها بضاعة غير رائجة ، فلا تزال المنزلة الأولى للخطيب والواعظ ، وصاحب الحديث الجذاب والبلاغة الأدبية، ولا تزال المجلة الفكرية،والمحاضرة الفكرية ثقيلتي الظل على السامع أو القارئ المسلم بشكل عام، وإذا حدث ودعي مفكر لندوة أو محاضرة فهي من باب (التملح) أو لكسر الروتين السائد، إن مشكلة (المسلم) لا تحل إلا بتحديدها تحديداً دقيقاً، والتفكير فيها، وهذا لا يؤتاه إلا (أولو الألباب) وعندما ذكر القرآن الكريم أن عشرين من المؤمنين. يغلبون مائتين من الذين كفروا قال : ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ)).

ولذلك قال عبد الله بن مسعود يصف بعض المظاهر في آخر الزمان : «يكثر الخطباء ويقل الفقهاء».

عندما كان العلماء الفقهاء هم الموجهون أو هم الحكام كانت الأمور تسير سيراً صحيحاً ، وعندما انفصلت السياسة عن الفكر أصيبت بالانحراف ثم بالتدمير ، وفي دول الغرب الآن نجد أن السر في قوتها «هو تكامل الفكر والسياسة ، واعتماد رجال التخطيط والتنفيذ في دوائر السياسة والإدارة على ما يقدمه رجال الفكر العاملون في مراكز البحوث والدراسات خلال اللقاءات الدورية التي تجمع بين الفريقين لمناقشة وتقويم القضايا الداخلية والخارجية ، ففي بلد كالولايات المتحدة هناك حوالي تسعة الآف مركز بحوث ودراسات متخصصة في بحث شؤون السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والتربية...»(1).

لا شك إنهم في الغرب يمارسون هذه الصناعة ويشجعونها ، بل عندهم (بنوك) للأفكار ، فالذي يقدم فكرة جديدة، تخزن حتى تأخذ طريقها للتنفيذ، ونحن لم نمارس هذه الصناعة - إلا في القليل - ، وقد يكون من

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

الأسباب الداعية لذلك ما تعودنا عليه من حب للسهولة ، فلا نريد أن نتعب أنفسنا بالتفكير العميق في مشكلة من المشاكل ، وكيف تحل، وإنما نكتفي بكلام عام وصحيح في نفس الوقت ، كالطبيب الذي يصف لكل مريض أقراص (الأسبرين) ، فلا هي تضره ولا هي تنفعه النفع المطلوب، فأنت تسمع من يقول لك : حل المشكلة في (الرجوع إلى الله) وهذا كلام صحيح ، ولكن كـيـف يكون الرجوع إلى الله؟ كيف تحل العقد الاجتماعية المتشابكة ، كيف نظهر علماء - فقهاء ، كيف نستفيد من الطاقات ونجمعها ونضعها في موضعها الصحيح؟! ، هذا لا جواب عليه!

وسبب آخر قد يكون عائقاً عن وجـــود (أولي الألباب) وصناع الفكر الذين يقدمون الحلول الصحيحة ، ألا وهو التأثر ببعض المنهج الظاهري بين صفوف طلبة العلم ، وأقول : بعض المنهج الظاهري؛ لأن لابن حزم جولات رائعة في فهم الإسلام، ولكن أخذ الجانب الأسهل عـنـده ، فـإن نفي الحكمة والـتـعـلـيل ، وبالتالي نفي القياس يُضعف الجانب الاستنباطي الاجتهادي.

إننا مطالبون بالتفكير كما جاء في القرآن الكريم: ((وأَنزَلْنَا إلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إلَيْهِمْ ولَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) [النحل:44].

إننا مطالبون بالتفكير في آيات الأنفس والآفاق ، في أسرار التشريع ، وفي سنن التغيير الذي يريده الله سبحانه وتعالى ، وفي منهج الرسول - صلى الله عليه وسلم - في (فقه التغيير).

وهذا التفكير يأتي بالتأمل والتعمق في فهم الأمور ، يقول الـشـيـخ الأديب محـمـود محمد شاكر:

»فإن العقل هبة الله لكل حي ، ولكن أساليب تفكيره كسب يكتسبه من معالجة الـنـظـــر ، ومـن الـتـربـيـة ومن التعليم ، ومن الثقافة ، ومن الآف التجارب التي يحياها المرء في هذه الحياة(2).

وأخيراً فإننا نتمنى أن يزداد عدد الفقهاء الحكماء ليقودوا الأمة، فإنهم هم المؤهلون لهذا، وعند فقدهم يسود الأغرار ، وتسود لغة العاطفة التي لا تغني عن الحق شيئاً«.

الهوامش :

1 - ماجد عرسان الكيلاني / هكذا عادت القدس / 282.
2 - مقدمة لكتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي / 9.

آية من كتاب الله

((إنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ))

قال العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي :

»ومن هدي القرآن للتي هي أقوم هـديـه إلـى أن التقـدم لا ينافي التمسك بالدين ، فما خيله أعداء الدين لضعاف العقول ممن ينتمي إلى الإسلام من أن التقدم لا يمكن إلا بالانسلاخ من دين الإسلام باطل لا أساس له ، والقرآن الكريم يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهميه في دنيا أو دين ، ولكن ذلك التقدم في حدود الدين ، والتحلي بآدابه الكريمة ، قال تعـالى: ((وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ)) ، وقال : ((وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْـرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ (10)أَنِ اعْمَلْ سَـابِـغَـاتٍ وَقَـدِّرْ فِـي السَّـرْدِ وَاعْـمَـلُـــوا صَالِحًا)) فقول ((أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ)) يدل على الاستعداد لمكافحة العدو ، وقول: ((وَاعْمَلُوا صَالِحًا)) يدل على أن الاستعداد في حدود الدين الحنيف ، وانظر قوله: ((وأَعِدُّوا لَهُم)) ، فهو أمر جازم بمسايرة التطور في الأمور الدنيوية ، وعدم الجمود على الحالات الأولى إذا طرأ تطور جـديـد ، ولكـــن كل ذلك مع التمسك بالدين ؛ فإن النسبة بين التمسك بالدين والتقدم كالنسبة بين الـمـلـزم ولازمه ، بمعنى أنه يلزم عليه التقدم كما صرحت به الآيات المذكورة.

أضواء البيان 3 / 396

من نور النبوة

1 - عن أبي موسى الأشعـري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : »"إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط "«.

2 - عن ابن عمر - رضى الله عنهـمـا - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : "»أراني في المنام أتسوك بسواك فجاءني رجــلان أحدهما أكبر من الآخر ، فناولت السواك الأصغر فقيل لي : كبر ، فدفعته إلى الأكبر منهما« ".

3 - عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنـصـاري قـــال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "»يؤم القوم أقرءوهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً ، ولا يؤمنَّ الرجلُ الرجلَ في سلطانه ، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه« ".

من تاريخ التغريب

الاسماعيلية الجديدة (1)

د. عبد الله الخلف

كـثـيـراً مــا نـقــرأ أن الـعـرب ممثلين بمصر سبقوا اليابانيين في محاولة الاتصال بالغرب، والاستفادة منهم في مجالات الـعـلـوم والتقـنـيـة والإدارة ، ونعـلـم أنه بينما نجح المشروع الياباني في تحقيق أهدافه نجاحاً باهراً ، لم يحقق المشروع العربي إلا الإخفــاق والـفـشــل الذريع.
ولئن كان السبب الذي أدى إلى إخفاق المشروع العربي واضحاً بيناً في أصوله وإطاره العام - وهو عدم الاعتماد على المنهج الإسلامي - ، فإنه بحاجة إلى كثير من الدراسة والبحث في جـزئـيـاتــه وتفاصيله. ومن أبرز المواقف التاريخية المتصلة بهذا الموضوع، والـتـي يمـكـن الوقوف عنـدهــا والـتـأمـل فـيـها لما لها من قيمة في إضاءة جانب من هذه القضية ، ذلك الاحتفال الكبير الذي أقامه الخديوي إسماعيل عام 1869 م بمناسبة افتتاح قناة السويس.
لقد أراد إسماعيل أن يظهر دولته أمام ضيوفه الأوربيين بمظهر الدولة المتقدمة التي لا يقل مـسـتـواهــا الحضاري عما وصلت إليه بلدان أوربا ، وأراد أن يبرهن على ما زعمه من أن مصر قطعة من أوربا لها من الروابط معها أكثر مما لها مع جيرانها.
من أجــل ذلك انـتـهـز هــذه الفرصـة، وسافر بنفسه إلى أوربا لتوجيه الدعوة إلى زعمائها لـحـضــور الحفل فاستجاب له عدد من أولئك الزعماء ، منهم الامبراطورة أوجيني زوجة امبراطور فرنسا نابليون الثالث، وامبراطور النمسا، وولي عهد بروسيا، وشقيق ملك هولندا وزوجته، وعدد كبير من رجال السياسة والاقتصاد وغيرهم من المدعوين الذين بلغ عددهم قريباً من ألف.
وقد بُذلت جهود كبيرة ، وصرفت أموال طـائـلة في سبيل إظهار مصر بمظهر يعجب هؤلاء الضيوف. ومن ذلك إقامة عدد من القصور الفخمة ، وإنشاء حديقة كبيرة في القاهرة ، وتم تنفيذ طريق يصل إلى الأهرام في مدة وجيزة لـكـي يـتمكن الضيوف من زيارتها ، كما أنشئ عدد من السكك الحديدية لتسهيل تنقل الضيوف، وتم بناء دار الأوبرا في القاهرة، وكلف موسيقي إيطالى مشهور بوضع أوبرا لتمثل أمامهم ، كما تم إنشاء عدد من المدارس التي لم يكن الهدف الأول منها تعليمياً، ولكن ليباهي بها إسماعيل ضيوفه، وتم استقدام خمسمائة طاهٍ وخادم من أوربا علاوة على عدد كبير من الموجودين في مصر.
وقد أقام كثير من المدعوين - ومنهم الامبراطورة أوجيني - مدة تزيد على الشهر ، وقاموا برحــلات في أنحاء مصر لمشاهدة معالمها وآثارها ، وأقيمت لهم في أثناء ذلك حفلات الغناء والـرقـص الـباذخة ، كل ذلك على نفقة مضيفهم حتى إن أحد المدعوين قال : »لم نصرف شيئاً بالمرة خلال هذه الرحلة ، لقد شاهدنا كرماً لا مثيل له«.
أمــا الاحتفال الـكـبـير فقد استمر خمسة أيام، قام موكب المدعوين خلالها بمسيرة من بور سعيد إلى السويس في مظاهر من الأبهة والبذخ الذي لم

يشهد له كثير من الضيوف مثيلاً . حتى إن الامبراطورة قالت : »يا إلهي لم أر في حياتي أجمل من هذا«. وكان هذا البذخ مثار سخط كثير من عقلاء البلد، ولكنه كان موضع الرضا والترحيب من ثعالب أوربا الذين كانوا يتربصون بمصر الدوائر، ويتحينون الفرص للانقضاض عليها. وقد ذكر أن أحد رجال الخديوي شكا من ذلك إلى أحد الأمراء الأوربيين قائلاً : »إننا نأكل أحجار الأهرام حجراً حجراً« فرد عليه بخبث: »لا تهتم سنقرضكم المال اللازم لتشتروا منا الإسمنت لإعادة بنائها«.

ولذا لم يكن غريباً أن تؤدي هذه التصرفات إلى إغراق مصر بالديون مما لم تستطع إيراداتها الوفاء به، فاضطر الخديوي أخيراً إلى بيع أسهم مصر في القناة لإنجلترا، فلم يعد لها فيها أي نصيب. واستغلت الدول الأوربية الأمر فعينت مندوبين منها يتصرفون في إيرادات مصر ومصروفاتها بحجة حماية حقوق الدائنين الأوربيين وتسديدها ، وأخيراً وقعت مصر تحت الاحتلال الإنجليزي، بعد أن هيأ إسماعيل بأعماله السيئة أفضل الظروف لإنجلترا لتحقيق أهدافها.

من خلال هذا العرض يتبين لنا أن هذا الرجل قد فتن بالغربيين ، واستمات في أن يظهر دولته بمظهر ينال إعجابهم. ولكن نظرته إليهم ، وفهمه لسر قوتهم كان موغلاً في السطحية والسذاجة، وكان اهتمامه منصباً على المظاهر بعيداً عن الجوانب الجوهرية. وقد اتضح هذا من خلال الأسلوب الذي اتبعه في محاولته اللحاق بهم ووضع مصر في مصاف دولهم، وهو أسلوب يحمل بذور الفشل الذريع ، ويؤكد جهل صاحبه وقصر نظره.

ولم يكن هذا العمل الذي بدر منه في هذه المناسبة عملاً طارئاً ، ولكنه يعبر عن منهجه الإصلاحي، وموقفه الحضاري من الغرب. وهو منهج قائم على أساس دعواه أن مصر قطعة من أوربا، وبدلاً من أن يزرع في نفوس شعبه العزة، والإحساس بالتميز والاستعلاء بما لديهم من مبادئ سامية وتراث عريق راح يجرهم إلى تبعية ذليلة مهينة ، ويغرس في نفوسهم ، حب التقليد الأعمى.

لقد غاب عن الخديوي إسماعيل أن الأمم مهما كانت درجتها من الضعف لا يمكن أن تتخلى بسهولة عن أصالتها، وجذورها التاريخية والحضارية، وتسقط في أحضان الآخرين فكيف إذا كانت تنتمي إلى خير أمة أخرجت للناس ، وغاب عنه أن الشخصية الحضارية للأمة لا يمكن أن تتبدل بمجرد أن يلبسها ثياب الآخرين ويضفي عليها مظاهرهم ، ولم يكن يدرك أن طريق الإصلاح والنهضة إنما يبدأ بالإنسان قبل أي شيء آخر ، وأن هذا الإنسان لن يستجيب بسهولة لمحاولات الإصلاح ما لم نخاطب فيه نوازعه الفطرية وخصوصيته الحضارية ، ونشعره بتميزه وأصالته.

وكم كان الفرق عظيماً والبون شاسعاً بين منهج إسماعيل والمنهج الياباني الذي قام على أساس من التميز والأصالة، ولم ينظر من أوربا إلا إلى الجانب الذي يفتقده ويحتاج إليه من علوم وتقنية سرعان ما استوعبها واحتواها بأساليبه التعليمية والتربوية الخاصة، حتى إن الأمريكيين واجهوا صعوبات كبيرة في فرض نظرياتهم التربوية عليه بعد الحرب العالمية الثانية.

ولكن الأمر لم ينته بفشل الخديوي إسماعيل في مشروعه وما جره على بلده من مصائب، فقد تابعه وسار على منهجه معظم القيادات السياسية لبلاد المسلمين على اختلاف في درجة التقليد ، وعلى تفاوت في إظهار التبعية والولاء. كما أن الاهتمام بالمظاهر والأبهة الكاذبة والرغبة في نيل إعجاب الغرب لا يزال هاجساً يستحوذ على تفكير كثير من تلك القيادات، ويدفعها إلى بذل الغالي والنفيس في سبيلها، لتتمكن من إرضاء غرورها، حتى لو اضطرت إلى حرمان شعوبها من أهم الضروريات، وإلى إغراقها بالديون والمشكلات.

ولا تزال هذه التجارب الفاشلة تؤتي ثمارها المرة، وتدفع بالشعوب المسلمة إلى مهاوي التخلف والضعف والهوان.

الهوامش :

1- ليس المقصود بالاسماعيلية المذهب الباطني المعروف ، ولكنه نهج الخديوي إسماعيل القائم على البذخ والإسراف والرعونة في تقليد قشور الحضارة الأوربية .

وحدة العمل الإسلامي

تحت راية أهل السنة والجماعة

محمد محمد بدري

تواجه الحركة الإسلامية المعاصرة تحديات كثيرة ، من خارجها ومن داخلها.. تواجه من خارجها مكر أعدائها وكيدهم، وتواجه من داخلها أمراض التعصب والهوى والجهل واتباع الرؤوس الجهال ، وما ينتج عنها من فرقة واختلاف!

فأما التحديات الخارجية فنستطيع أن نقول أنها فشلت سياسياً وأمنياً في إحراز أي مكسب على حساب الحركة الإسلامية المعاصرة!!

وأما التحديات الداخلية فهي -فيما نحسب -الخطر الحقيقي الذي يعوق مسيرة الحركة ويباعد بينها وبين أهدافها.

وبـيـنـمـا يخـتـلـف الإسلاميون في كثير من الأمور ، إلا أنهم جميعاً متفقون على أن الفرقة والاختلاف هي آفة الحركة الإسـلامية المعاصرة ، وهي الداء الذي يشل أية فاعلية ممكنة لتلك الحركة.
ولا شك أن الوحــدة والائـتـلاف بين العاملين للإسلام هي أمنية كل مسلم غيور ، والذي يجعل تحقيق هذه الأمنية الغالية ممكناً هو أن ندرك متطلباتها ونعرف الأسس الصحيحة التي تكفلها.
ومساهمة في بيان هذه الأسس وتلك المتطلبات نضع بين أيدي إخواننا العاملين للإسلام هذا المنهج للائتلاف والوحدة كخطوة على طريق الوحدة الشاملة، ونأمل منهم تفهمه، ونقده، وترشيده بل ونطالبهم بتهذيبه والإضافة إليه بما يثري إيجابياته ويلفظ سلبياته ، ويقرب من جدوى ثماره.

أولاً: أهل السنة وطريق الوحدة:

يدعو البعض إلى الوحدة والائتلاف بين الجماعات الإسلامية، فإذا سألته كيف؟ قال لك: إن هذه الجماعات أمة واحدة ، والوحدة والائتلاف بينها تكـون بانضمام هـذه الجماعات إلى جماعتنا ؛ لأننا نحن أصحاب الفهم الصحيح !! ، ولأننا نـسـيـر فـي الطريق الأصلح والأصوب ، أو لأننا أكثر عدداً ، أو غير ذلك من الأسباب؟!.
ولا شك أن التفكير في الوحدة بهذه الطريقة هو لون جديد من التعصب في ثوب الدعوة إلى الوحدة ، ولا شك أننا لا يمكن أن نخطو خطوة واحدة في طريق الوحدة الـمـنـشـودة بهذه الطريقة؛ لأن كل جماعة ستدعي أنها صاحبة الفهم الصحيح؟! فما هي الجماعــة الـتـي يجب أن يلتزمها الجميع؟
إنها الجماعة التي ألزمهم بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث قال : »افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة(، فقال الصحابة: من هي يا رســول الله؟ قال : »من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي«. وفي رواية قال: »الجماعة يد الله مع الجماعة«.
فالفـرقـة الناجية هي الجماعة -وصفتها من كان على مثل ما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسـلـم- وأصحابه. فالرسول - صلى الله عليه وسلم - حين سئل عن الفرقة الناجية بين الوصــف الذي صارت عليه ناجية ، بمعنى أنه - صلى الله عليه وسلم- بين الوصف الضابط للنجــاة لأي جمـاعـة بدون تخصيص لمن تقدم ومن تـأخــر ، وهو وصف غير قابل للانقطاع في أي زمان كما قــال -صلى الله عليه وسلم-: »لا تــزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ، ولا من خذلهم إلى قيام الساعة«.
وهو وصف إذا تحقق في فرد أو جماعة،كان ذلك الفرد أو تلك الجماعة من الفرقة الناجية »أهل السنة« .. فالـسـنـة رايــة مكتوب عليها »ما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه« وأهل السنة أهل الـرايـة ، وهم

الطائفة المنصورة »لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق« وهم الجماعة التي أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالتزامها..
وهي هي الجماعة التي ندعو فصائل الحركة الإسلامية إلى الالتزام بها،»جماعة أهل السنة« الجماعة العامة الواسعة،وهي تضم الآن كل من لم ينحرفوا عن طريق »أهل السنة والجماعة« إلى مناهج أهل البدع الضالين ، تضم كل هؤلاء دونما شرط أن يجمعهم اسم واحد أو حزب واحد؟!
فنحن لا ندعو إلى جماعة جديدة أو اسم من الأسماء التي يتصارع عليها العاملون للإسلام وإنـمـا هي دعوة إلى الانتماء لسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- .
دعوة إلـى الانتـمـاء لجماعة »أهل السنة« الذين ميزهم دائماً اجتماعهم على الاتباع دون لم الابتداع فهم يمـثـلـون الامـتـداد الطبيعي لما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وراية »أهل السنة والجماعة« هـي الراية التي ينضوي تحتها المخلصون أفراداً وجماعات ، الراغبون في العمل من أجل الإسلام مهما كانت انتماءاتهم.. ثم نوزع فيما بيننا الأدوار ، أدوار الأفراد وأدوار الجماعات لتقوم بمهمة التغيير المنشود.

ثانيا -كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة:

لا شك أن التوحيد بين الأطراف المتنازعة لا يكون على حساب المنهج السليم ، ولا يكون على حساب التفريط في سلامة الأصول ، وحرصنا على والائتلاف ووحدة الكلمة لا ينفعنا إن نحن فرطنا في وضوح كلمة التوحيد أو تساهلنا في اهتزاز أصولها ، بــل لو حاولنا ذلك -والعياذ بالله - وقعنا في الشقاق والفرقة من حيث أردنا الوحدة والائتلاف، ولذلك فنحن حين ندعو للائتلاف لا نعني الائتلاف مع أصحاب المذاهب المعادية للإسلام من علمانية ووطنية وقومية واشتراكية ورأسمالية وغيرها ، ولا مع الفرق الضالة التي وصفها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، والذين ابتعدوا وانحرفوا عن منهج أهل السنة ، وهنا لابد من التفرقة بين هؤلاء وبين المختلفين من أهل السنة الذين وإن وقع بعضهم في تـأويــل فـاســد ولكنهم لم يفاصلوا أهل السنة ولم يفارقوهم ، فهؤلاء لا يخرجون عن مسمى أهل الـسـنـة، فيجب علينا دائماً أن نفرق بين من يتنكبون طريق الإسلام وينحرفون عن منهج أهل السنة وبين الذين يخطئون وهم يسيرون على هذا المنهج ، فهؤلاء أحوج إلى التصويب والرعـايـة والحوار منهم إلى المواجهة والاحتقار.

ثالثاً - شرعية العمل الجماعي :

لا شك أن العمل الجماعي واجب شرعي ، ولا شك أن ما هو مطلوب من الـجـمـاعات من إنـجـــازات لا يقدر فرد أو أفراد متفرقون أن يقوموا به ، ومن هنا فنحن لا ننكر الـعـمـل الـجـمـاعــي من خــلال جماعات أهل السنة

العاملة في الساحة الإسلامية ، ولا نريد أن يتخلى الأفراد عن جماعاتهم التي يتعاونون معها ، ولكننا نريد من الجميع أن يدركوا أن ولاءهم لجـمـاعـاتهم يكون في. إطار ولائهم للجماعة الأم.. جماعة أهل السنة والجماعة ، وأن لا يـقـدمـــوا المصلحة المتوهمة لجماعتهم -الصغيرة على المصلحة الشرعية الحقيقية للجماعة الكبيرة.
فلا ترفع أسماء ورايات يدعى الناس إليها ، ويترك الأصل الذي ينبغي الدعوة إليه ، ولا تكون هذه الأسماء داعية للتعصب لشخص دون رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولا تكون هذه الأسماء هي ما يعقد عليها الولاء والبراء ، بل الموالاة والمعاداة تكون على الإسلام ، والدعوة تكون إلى جماعة أهل السنة.. وليس إلى جماعة فلان أو طريق فلان..
فنحن في أمس الحاجة إلى دعوة مفتوحة عالمية لكل الأمة ، والله عز وجل قد أنعم علينا وكفانا باسم الإسلام.. ((هُوَ سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)) ، نقول لكل العاملين المخلصين : إن الأعمال الكبيرة لا يقوم بها فرد وإنما تقوم بها مجموعات متعاونة تعمل حسب خطة تكاملية مدروسة ، ولن نستطيع الوصول إلى أهدافنا عبر أفراد ، بل مجموعات منظمة تضمن استمرار العمل وتعطيه الفاعلية ، فتعالوا نجتمع معاً لنكون مجتمعاً من صفوة المجتمعات وصفوة الأفراد.

رابعاً - قلة تنقذ الموقف :

إن من القواعد العظيمة التي هي جماع الدين تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين ، فالله تعالى يقول:((فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ)) ، وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف.. وأهل هذا الأصل - كما يقول ابن تيمية - هم أصل الجماعة ، ولذلك نقول أنه من الأمور الطيبة أن توجد في الساحة الإسلامية مجموعة واعية تتبنى فكر أهل السنة والجماعة ، وتعمل على التقريب بين فصائل الحركة الإسلامية؟! ومن انتدب نفسه لهذه المهمة فيجب عليه أن يتلطف في ادخال المفيد النافع على من يحدثهم دون جدل ، بل بالأدلة الموضوعية.
ولا شك أن وجود هذا الصنف من الدعاة هو المقدمة الصحيحة لتعميم مفاهيم أهل السنة والجماعة في كل الحركة الإسلامية ، وإزالة الحواجز بين العاملين للإسلام ، بحيث لا يتحرج فرد من الانتساب إلى فصيل من فصائل الحركة الإسلامية ، والتعاون مع الآخر في الخير.. فيخرج بذلك جيل من الإسلاميين تتطابق أهدافهم في الحياة بدل أن تتنابذ ، وتتكامل أفكارهم بدل أن تتصارع وتختلف؟! وتكون غايتهم خالصة لله عز وجل.
ولن تكون هذه المجموعة التي نتحدث عنها حزباً أو جماعة، وإنمـا هـي بمثابة مدرسة تربوية تركز على تنظيف عقول أفرادها من المقولات الخاطئة

المتعصبة ، وتــســير قلوبهم ونفوسهم من الأغراض الشخصية ، ثم مراجعة الأفكار وأساليب العمل المطروحـــــــة على الساحة الإسلامية ، وهكذا يمكن أن تبرز حركة تجديدية إصلاحية ، تتضافر فــيــهـــا الجهود ، ويهجر فيها الأفراد خصوماتهم.

خامساً - حوارات فعالة:

فلابد من حوارات مفتوحة مع كل الدعاة الصادقين ، ولابد من تعارف فصائل الحركـة الإسلامية بعضها على بعض عن قرب والحذر من الشائعات ، وكثيراً ما يحل هذا اللقاء الكثير من الاختلافات التي يثيرها نقلة الأخبار ومثيري الإشاعات؟!.

ولنجعل من هذه الحوارات لوناً من ألوان الشورى حول مجموعة القضايا الأساسية في الدعوة ، ولعل الله عز وجل أن يخرج منها جيلاً يهتدي إلى سبيل عودة أمة الإسلام ، ويحدد مواطن الخلل ويكتشف الطريق الأصوب ، ويجمع البصيرة إلى جانب البصر ، ويلتزم منهاج الطائفة القائمة على الحق الحاملة للرسالة الخالدة »أهل السنة والجماعة«.

ولا شك أنه لإنجاح هذه الحوارات لابد لها من قواعد ، فقواعد الحوار فضلاً عن أنها آداب وأخلاق فهي جزء رئيسي ومؤثر في فعالية أي عمل يبنى على الحوار ، وما أي عمل في بدايته سوى مشروع في محتوى بعض الكلمات والأفكار.

إننا ندعو كل إخواننا إلى العمل على تكامل فصائل الحركة الإسلامية وتعاونها في هذا الإطار الذي نحسبه صواباً ، ولا ندعي له الكمال ، وإنما هو محاولة وخطوة على الطريق يعوزها التواصل المستمر.. نقصد منها إلى إزالة السدود النفسية بين الدعاة إلى الله وتحطيم الأسوار الحزبية التي قد تحمي غير الأكفاء وتحرم العمل من إمكانات وطاقات كبيرة ، ولنسير جميعاً إلى أهدافنا تحت راية أهل السنة والجماعة .

من أعلام الجهاد في العصر الحديث

الشيخ عز الدين القسَّام

محمد محمد توفيق

هو محمد عز الدين بن عبد القادر القسَّام،ولد عام 1871 م في بلدة جبلة من قضاء اللاذقية في سوريا ، ونشأ في أسرة مسلمة كريمة، ودرس بالأزهر في مصر ، والذي كان له دور كبير في ذلك الوقت في بث مبادئ الإسلام ونشرها في كل أنحاءِ الوطن الإسلامــي ، وبعد انتهاء دراسته بالأزهر رجع إلى بلدته ، وعين مدرساً بالجامع الكبير ، فغرس فـي تلاميذه معاني العزة والكرامة، باثاً

فيهم روح الجهـد في سبيل الله، ومــرشــداً إيـاهــم إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
ومـــا كادت الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها ، حتى وضعت فلسطين والـعـراق تـحـت الانـتـداب الإنجليزي ، وسـوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى ، وأعطى وزير خارجية بريطانيا (بلفور) وعده الـمـشـؤوم بإنـشـاء وطن قومي لليهود في فلسطين وذلك في 2 نوفمبر 1917 م.
في هذه الأثناء انضم الشيخ إلى عمر البيطار ورفاقه لمقاومة الاحتلال الفرنسي ، واستطاعت فرنسا التغلب عليهم لقلة ذخيرتهم وأسـلـحـتـهـم ، ولضعف تنظيمهم ، فصدر عليه حكم بالإعدام ، وفاوضوه على إلغاء ذلك الحكم وتحقيق ما يتمناه من مال ومنصب فرفض ، ولما اشتدت عليه الملاحقة والطلب رحل إلى فلسطين فـي ضــاحية الياجور بالقرب من حيفا - والتي كانت قاعدة من قواعد التهويد في ذلك الحين عـــام 1922م - وهناك عمل مدرساً بالمدرسة الإسلامية ، ثم انضم إلى جمعية الشبان المسلمـيـن عام 1926 م ، وانتخب رئيساً لها عام 1928 م وأصبح مدرساً وخطيباً في جامع الاستقلال عام 1929م ، وفي نفس السنة عين مأذوناً شرعياً ، وقام بتأسيس مدرسة ليلية لمحو الأمية.
وقد مكنته كل هذه الأعمال من الاتصال بكافة طبقات الأمة ، فبدأ بتأليف القلوب ، ونشر المحبة ، وإزالة الخصومات ونبذ الأحقاد ، وتعميق الوازع الديني في النفوس ، والتوعية بمؤامرات الحكومة البريطانية على فلسطين ، والتوعية بمخاطر هجرة وبيع الأراضي ، وعمل على تكوين قاعدة إيمانية صلبة من المجاهدين ضد أعداء الله سبحانه وتعالى وأعداء رسوله - صلى الله عليه وسلم - . وكان يتصف بقوة الإيمان ، وحسن السيرة والمعاشرة ، وكان لبقاً وخطيباً بارعاً ، وعاقلاً يدرك ماذا يصنع ويفهمه كل الفهم ، غير متسرع ولا مندفع ، وكان يلوم بعض المشايخ وطلبة العلم على أمور منها :
- محاولاتهم وسعيهم الحثيث إلى تجويف الدين وجعله هياكل نظرية مفرغة.
- إبعاد الدين عن السياسة ، واقتصارهم على المواعظ النظرية فقط.
- إغراقهم في التنعم بعيشهم بينما غالبية الشعب تعاني من الفقر والحاجة.
- عدم دعوتهم إلى الجهاد وطرد الإنجليز والصهاينة.
- إنفاق الأموال في تزيين المساجد وزخرفتها بدلاً من الإعداد للجهاد.
فالتف حوله الناس وساعدوه ، وزاد أيضاً عدد الجواسيس عليه ، وفي عام 1925 م أسس »المنظمة الجهادية(، وبدأت عملها في سرية بالتحريض على الجهاد ، والتدريب عليه ، وقسمت هذه المنظمة إلى خمس مجموعات هي: المجموعة الفدائية (أو وحدة التدريب العسكري) ، ومجموعة التهيئة والأعداد ، ومجموعة التمويل ، ومجموعة الوعظ والدعاية ، والمجموعة السياسية.

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

وفي عام 1935 رفع الشيخ راية الجهاد - وكان عمره قد تجاوز الستين - وترك حيفا إلى جبال جنين القريبة منها. وكانت خطته أن يتوزع رجاله على قرى المناطق الجبلية حتى يضموا إليهم أكبر عدد من المجاهدين ، فإذا اكتمل العدد الذي يريده هاجم مدينة حيفا واحتل دوائر الحكومة ومراكز الشرطة والميناء ، وبعد أن يستتب له الأمر يعلن قيام حكومته ، ويقوم أعوانه في المدن الأخرى بمثل ذلك.
وبعد يومين فقط ، وقبل أن يتم له ذلك ، قتل أحد أعوانه فرداً من دورية شرطة (يهودي) ، فهاجمت قوات كبيرة جميع القرى المجاورة ، فاشتبك معهم أعوان القسام ، وقتل اثنان من أفراد الشرطة ، فأدركوا أن الجهاد الحاسم على وشك الاستنفار ، فأرسلت نجدات إلى تلك المناطق تساندها طائرات استكشافية ، فحاصروا الشيخ ومعه مجموعة من أعوانه ، ودارت معركة أبلى فيها وأتباعه بلاءً حسنًا ، وكان في مقابل كل مجاهد أربعين جندياً ، وقتل ومعه الشيخان محمد الحنفي ويوسف الزيباوي ، وجرح ثلاثة وتمكن الباقون من الإفلات.
وصلى عليه وعلى رفاقه جمع غفير ، وصلى عليه الناس صلاة الغائب في كل مكان. وحمل الراية من بعده إخوانه وتلاميذه ومنهم الشيخ فرحان السعدي ، ومحمد صالح الحمد (أبو خالد) ، وعطية أحمد عوض ، ويوسف سعيد أبو درة ، وعبد الله الأصبح ، وحسين العليّ الزبيدي ، وتوفيق إبراهيم (أبو إبراهيم الصغير) ، وأحمد عبد الرحمن جابر ، وغيرهم.
ولم تمض شهور قليلة على قتله حتى كانت فلسطين كلها تغلي وتضرب من أقصاها إلى أقصاها أطول إضراب في التاريخ ، والذي لم ينته إلا حينما تدخل الملوك العرب على أمل أن تتفهم حليفتهم بريطانيا مطالب الفلسطينيين ، وكان تدخلهم هذا مشفوعاً بتضييق الخناق على المجاهدين الذين أصبحوا في حاجة إلى السلاح والذخيرة ، والغذاء والدواء.
وها هي الأرض - اليوم - تشتعل غضباً على اليهود ، وإخواننا هناك يحتاجون إلى السلاح والذخيرة بدلاً من الحجارة والزجاجات الحارقة ، ويحتاجون إلى الغذاء والدواء بعد أن ضيق عليهم اليهود الخناق ، ويحتاجون إلى الرجال لمناصرتهم ، ويحتاجون إلى الدعاة لشحذ هممهم ، وبالجملة يحتاجون إلى الدعم... فهل نخذلهم؟!.
لقد كان القسام بحق علماً للجهاد في فلسطين ، فرحمه الله، وأنزلنا وإياه منازل الشهداء ، ومنَّ على المسلمين بالعزة والنصر .

خواطر في الدعوة

فوائد المحن

محمد العبدة
اللهم إنا لا نتطلبها ، ونقول سـنـصـبـر عليهـا أو نحن مستعدون لها ، فلا يجوز لمسلم أن يعرض نفسه للفتنة وقد لا يصبر عليها ، أو يـضـع نفـسه موضع الذل والهوان ، أو موضع المتسلط عليه من الكفار ، فنصبح فتنة للذين كفروا ، ولـكـن إذا تـعـرض الـمـسلم للمصائب والمحن بقدر من الله ولحكمة يريدها الله ، فلابد أن يصبر ويتقي الله ، وبعدهـا يؤتي الله نصره من يشاء ، وعندما يتعرض المسلمون للمحن والرزايا فلاشك أن في ذلك فوائـد كثـيـرة يريدهـــا الله ، كتمحيص الصفوف ومعرفة الصابرين المجاهدين ، والدخلاء الذين هم غثاء كغثاء السيل.
وللإمام عـز الـديـن محـمـد بن عـبـد السلام - رحمه الله - لفتات طيبة في هذا الموضوع ، ننقلها بطولها لأهميتها ، قال :
»وللمصائب والمحن فوائد تختلف باختلاف رتب الناس :
أحدها: معرفة عز الربوبية وقهرها.
الثاني : معرفة ذل العبودية وكسرهـــا ، وإليه الإشارة يقول تعالى: ((الَذِينَ إذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إنَّا لِلَّهِ وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ)) ، اعترفوا بأنهم ملكه وعبيده ، وأنهم راجعون إلى حكمه وتدبيره ، لا مفر لهم منه ولا محيد لهم عنه.
الثالثة : الإخلاص لله تعالى ، إذ لا مرجع في رفع الشدائد إلا إليه : ((وإن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إلاَّ هُوَ)).
الرابعة : التضرع والدعاء: ((وإذَا مَسَّ الإنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا)) .
الخامسة : تمحيصها للذنوب والخطـايــا :»ولا يصيب المؤمن وصب ولا نصب حتى الهم يهمه والشوكة يشاكها إلا كفر به عن سيئاته« رواه مسلم.
السادسة : ما في طيها من الفوائد الخفية : ((فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً ويَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً)) ، ولما أخذ الجبار سارة من إبراهيم - عليه السلام - كان في طـــي تلك البلية أن أخدمها هاجر ، فولدت إسماعيل لإبراهيم - عليهما السلام - ، فكـان من ذرية إسماعيل خاتم النبيين ، فأعظم بذلك من خير كان في طى تلك البلية.
السابعة : إن المصائب والشدائد تمنع من الأشر والبطر والفخر والخيلاء والتكبر والتجبر.
ولهذه الفوائد الجليلة كان أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمـثـل ، كالذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وتغربوا عن أوطانهم ، وتكاثر أعداؤهم ، ولم يشبع سيد الأولين من خبز مرتين ، وأوذي بأنواع الأذية ، وابتلي في آخر الأمر بمـسـيـلـمة وطليحة والعنسي ، قال - عليه الصلاة والسلام - : »مثل المؤمن كمثل الخامة مـــن الزرع تفيئها الريح تصرعها مرة وتعدلها مرة حتى تهيج«.
الثامنة : الرضا الموجب لرضوان الله تعالـى ، فــإن الـمـصـائب تنزل بالبر والفاجر ، فمن سخطها فله السخط ومن رضيها فله الرضا " اهـ.

ونحن نسأل الله تعالى أن يمكن للمسلمين بعد المحن والرزايا وأن يستفيد المسلمون الدروس الكبيرة من هذه المحن .

أخلاق

الغيرة بين الجاهلية والإسلام

محمد الناصر

كان العرب في الجاهلية يعدون المرأة ذروة شـرفـهـم وعنوان عرضهم ، ولذلك فقد تفننوا في حمايتها والمحافظة عليها ، والدفاع عنها زوجة وأماً، ابنة وأختاً ، قريبة وجارة ، حتى يظل شرفهم سليماً من الدنس ، ويبقى عرضهم بعيداً من أن يمس.

ولم يكن شيء يثير القوم كالاعتداء على نسائهم أو المساس بهن، ولذلك كانوا يتجشمون في الدفاع عنهن كل صعب ، ولا يضنون بأي غال ، لقد كانت الغيرة تولد مــع القوم وكأنهم أرضعوها فعلاً مع لبان الأمهات(1).

وفي بيئة العرب التي قامت فيها الأخلاق على الإباء والاعتزاز بالشرف كان لابد للرجال والنساء من العفة ومن التعفف ؛ لأن العدوان على العرض يجر الويلات والحروب ، وكان لابد من الغيرة على العرض حتى لا يخدش .. والـعـفـة شــرط مـن شــــروط السيادة فـهـي كالشجاعة والكرم.

وكـــان العرب أغير من غيرهم (2) ؛ لأنهم أشد الناس حاجة إلى حفظ الأنسـاب، ولـذلك قيل:كل أمة وضعت الغيرة في رجالها ، وضعت الصيانة في نسائها ، وقد وصل العرب في الغيرة أن جاوزوا الحد ، حتى كانوا يئدون بناتهم مخافة لحوق العار بهم من أجلهن.

وأول قـبـيـلـة وأدت من العرب ربيعة ، وذلك أنهم أُغير عليهم، فنهبت بنت لأمير لهم، فاستردها بعد الصلح ، وخيرت رضى منها بين أبـيـهـا ومن هي عنده ، فاختارت من هي عـنـده ، فـغضب والدها وسن لقومه الوأد ، ففعلوه غيرة منهم ، وشاع الوأد في العرب بعد ذلك.

ومن نخوة العرب وغيرتهم أنهم يكنون عن حرائر النساء بالبيض ، وقد جاء القرآن الكريم بذلك، فقال سبحانه: ((كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ)) ، وقال امرؤ القيس : (وبيضة خدر لا يرام خباؤها).

ويكنون عنها بالنخلة:

ألا يا نخـلة في ذات عرق عليك ورحمة الله السلام

ومن نخوة العرب وغيرتهم أنه كان من عادتهم إذا وردوا المياه أن يتقدم الرجال، والرعاء، ثم النساء إذا صدرت كل الفرق المتقدمة ، حيث يغسلن أنفسهن وثيابهن ويـتـطـهرن آمنات ممن يزعجهن ، فمن تأخر عن الماء حتى تصدر النساء فهو الغاية في الذل.

وكان للغيرة عند القوم مظاهر كثيرة(3)، منها: حبهم لعفة النساء عامة، ونسائهم خاصة، ومنها : حبهم لحيائهن وتسترهن ووفائهن ووقارهن.
وقد أشاد الشعراء بعفة النساء وتمنعهن ووفائهن ، قال علقمة بن عبدة(4):
مـنـعـمة مـا يـسـتـــطـاع كـلامها عـلـى بابـهـا من أن تــزار رقـيـــب
إذا غاب فيها البعل لم تـفـش سره وتـرضـى إيـاب الـبـعل حين يئوب
ومن أجمل ما قيل في خفر النساء وعفتهن قول الشنفري الأزدي في غزله،وهو من الصعاليك الفتاك (5):
لقد أعجبتني لا سقوطاً قناعها إذا مــا مشت ولا بذات تلفت
أميمة لا يخزي فتاها حليلهــا إذا ذكـر النسوان عفت وجلت
إذا هو أمسى آب قرة عـيـنـــه مآب السعيد لم يسل أين ظلت
وكان من مظاهر الغيرة عند العرب ، ستر النساء ومنعهن من الظهور أمام الرجال . يقــول الأفوه الأودي(6):
نقاتل أقواماً فنسبى نساءهم ولم ير ذو عز لنسوتنا حجلاً
على أنهم كانوا يفخرون بغض البصر عن الجارات ، ويعتبرون ذلك من العفة والغيرة على الأعراض ، كان كشف الستر بجارح النظرات ، وهتك الأعراض بخائنة الأعين ، وفضح الأسرار باستراق السمع لا يترفع عنه إلا كل عفيف ، وما أجمل قول عروة ابن الورد(7):
وإن جارتي ألوتُ رياح ببـيـتـهـــا تغافـلـتُ حتى يستر البيت جانبه
وقول عنترة (8):
وأغض طرفي ما بدت لـي جــارتي حـتى يـواري جـارتي مـأواهـا
أين من هؤلاء بعض الشباب اليوم الذين يتسكعون في الأسواق أو يتلصصون حول الحرمات، وبعض وسائل الإعلام تعرض المسلسلات الماجنة التي تدرب الشباب على التحلل والعدوان
لقد كانت عند العرب أخلاق كريمة،بعث نبي الرحمة - عليه الصلاة والسلام - ليتممها، ويقوم ما انحرف منها ، ويسمو بها وبأمثالها.

الغيرة في ضوء تعاليم الشرع الحنيف :

لقد حمد الإســلام الغيرة ، وشجع المسلمين عليها ، ذلك أنها إذا تمكنت في النفوس كان المجتمع كـالـطـود الشامخ حمية ودفاعاً عن الأعراض ، والمؤمن الحق غيور بلا شطط يغار على مـحـارم الله أن تنتهك ، وفي الحديث الشريف أن سعد بن عبادة - رضى الله عنه -قال كــلامـــاً بين يدي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- دل على غيرته الشديدة ، فقال الــرســول -صلى الله عليه وسلم-: »أتعجبون من غيرة سعد ، لأنا أغير منه ، والله أغير مني«(9).
هـذه هـي الـغيرة ، غيرة الإسلام على المحارم والأعراض ، المنبثقة من غيرة رب العـباد، والمتمثلة في خاتم المرسلين ، وهي ليست بخافية على أحد من

الناس ، قال تعالى: ((إنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ومَا بَطَنَ)) [الأعراف:33].
ويقول - صلى الله عليه وسلم - : »لا أحد أغير من الله ، ولذلك حرم الفواحش ، ما ظهر منها وما بطن((10).
ومن أجل أن يكون المجتمع المسلم نظيفاً ، أمر الإسلام بعدد من الأوامر والنواهي ، ليحفظ هذا المجتمع طاهراً نقياً ، وتصبح مظاهر الغيرة فيه جلية ومن علامات هذا النقاء.
ولذلك فرض الله على المسلمات ستـر مفاتنهن ، وعدم إبداء زينتهن ، يقول تعالى : ((ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَـا ظَـهَــرَ مِنْهَا ولْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ)) إلى قوله تعالى: ((ولا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ)) [النور:31] ، ((وقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى)) [الأحزاب: 33].
وحرم الإسلام كذلك الدخول على النساء لغير محارمهن ، كما حرم الخلوة بهن. قال - صلى الله عليه وسلم -: »إياكم والدخول على النساء«. فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال : »الحمو الموت«(11) والحمو أخو الزوج وما أشبهه من أقاربه.
وقاك - صلى الله عليه وسلم -:" »لا يـخـلــون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم، فقام رجل فقال: يا رسول الله، امرأتي خرجت حاجَّةً، واكتتبتُ في غزوة كذا وكذا ، قال : »ارجع فحج مع امرأتك«"(12).
تطهير وتحصين لهذا المجتمع الفاضل ، فلا خلوة ولا ريبة ، وحتى الجهاد يؤمر الرجل بـتـأجـيـلـه مـن أجـل أن يـحـج مـع امرأته، فلا تسافر وحدها، هذه روح الشرع الحنيف والمتأولون كل يوم قد يطلعون علينا بجديد.
ومن لوازم هذه الغيرة: الحياء. قال صلى الله عليه وسلم: »الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة«(13).
ومن ذلك أيضاً: غض البصر: قال تعالى:((قُــل لِّـلْـمُـؤْمِـنِـيـنَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ويَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ... وقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ويَحْفَظْنَ فَرُوجَهُنَّ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا)) [النور:30-31].
يقول سيد قطب - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: »إن الإسلام يــهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة ، ولا تستثار فيه دفــعــات اللحم والدم في كل حين.. والنظرة الخائنة والحركة المثيرة والزينة المتبرجة والجسم العاري.... كلها لا تصنع شــيـئـــاً إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون! وإحدى وسائل الإسلام إلى إنــشــاء مجـتـمــع نـظـيـــف هـي الحيلولة دون هذه الاستثارة، وإبقاء الدافع النظري العميق بين الجنسين سليماً«(14).

الغيرة في حضارة القرن العشرين :

عرفنا مما تقدم أن الغيرة خلق عربي أصيل ، ارتفع به الإسلام آفاقاً عالية سامية ، وقمماً شامخة ، في ظل مجتمع وارف الظلال.
ثم بدأت الأخلاق تتغير عند الكثيرين، مع ضعف الوازع الديني، وهجمة الغرب الشرسة، حتى بدت المظاهر المنحرفة عجيبة في العلاقات الاجتماعية والأخلاقية.
ابتعد كثيرون عن الواقع النظيف، وحتى غيرة أهل الجاهلية، انحدرت وتلاشت في كثير من الأوساط، إذ أصبح الاختلاط (بين ما يسمى بالأسر التقدمية) شائعاً، حيث الأحاديث المشتركة والموائد المختلطة.
كتب أنيس منصور في إحدى مقالاته في أخبار اليوم : إنه زار إحدى الجامعات الألمانية ورأى هناك الأولاد والبنات أزواجاً أزواجاً مستلقين على الحشائش في فناء الجامعة.. قال: فقلت في نفسي : متى أرى ذلك المنظر في جامعة أسيوط لكي تراه عيون أهل الصعيد وتتعود عليه!!(15).
أهل الصعيد لماذا؟ لأنه ما يزال لديهم بعض أخلاق المسلمين وحيائهم.
وفـي الـمـطـارات ما يراه المسافر من مظاهر شائنة، لا تحرك غيرة ولا رجولة، لقد حاولت بـعـض الأقــلام الهابطة أن تنتزع عن الفتاة المسلمة كل خلق أو تقليد ، حتى الحياء الذي كانت تتميز به الفتاة المسلمة الشرقية.
قال سيد قطب - رحمه الله- في هذا الشأن (16) : »وحين تكون القيم (الإنسانية) لأخلاق (الإنسانية) كما هي في ميزان الله هي السائدة في مجتمع، فإن هذا المجتمع يكون متحضراً متقدماً... أو بالاصطلاح الإسلامي ربانياً مسلماً.. والقـيـم والأخلاق الإنسانية ليست مسألة غامضة ولا مائعة ، وليست كذلك قيماً وأخلاقاً متغيرة«.
»إن المجـتـمـعـات التي تسود بها القيم والأخلاق الحيوانية ، لا يمكن أن تكون مجتمعات متحضرة مهما تبلغ من التقدم الصناعي والاقتصادي والعلمي!«.
»وفـي المجتمعات الجاهلـية الحديثة ينحسر المفهوم الأخلاقي بحيث تتخلى عن كل ما له علاقة بالتميز الإنساني عن الحيوان. ففي هذه المجتمعات لا تعتبر العلاقات الجنسية غير الشرعية ولا حتى العلاقات الجنسية الشاذة رذيلة أخلاقية ، إن المفهوم الأخلاقي ينحصر في المعاملات الشخصية والاقتصادية والسياسية أحياناً. في حدود مصلحة الدولة«.
مـثـل هــذه المـجـتـمـعــات مجتمعات مختلفة من وجهة النظر الإنسانية، وهي كذلك غير إسلامية؛ لأن خط الإسلام هو خط تحرير الإنسان من شهواته ..«.
وأخيراً أخي القارئ : فإن معايير الأخلاق قد اهتزت في عصرنا الحاضر ، ولابد من أن نوليها الاهتمام الكافي الذي يوجبه علينا ديننا .

وإن التطبيق الواقعي لهذه الأخلاق ، في حياة المسلمين اليوم بات واجباً إسلامياً ، ومنهجاً تربوياً دعوياً ، طالما أهمل في قطاعات كبيرة من مجتمعات المسلمين والناس عموماً في هذا القرن.
إلا أن الأمل كبير في الأجيال المؤمنة ، لتقوم الانحراف ، وتزرع الفضيلة ، وتكون قدوة حسنة ، وواقعاً حياً لما كان عليه سلف هذه الأمة .

الهوامش :

1 - المعتقدات والقيم في الشعر الجاهلي : محمد محمود صيام /350.
2 - انظر بلوغ الأرب : الآلوسي 1/140 - 143.
3 - انظر: الحر في الحياة العربية ، والمعتقدات والقيم في الشعر الجاهلي.
4 - المفضليات ، رقم 119 ، ص 391.
5 - المفضليات رقم 20 ، ص 108 ، والنثا: ما اخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ ، والحليل : الزوج.
6 - الأغاني 1/165 ، طبعة الثقافة.
7 - الديوان : ص 30 تحقيق عبد المنعم الملوحي ، دمشق.
8 - الديوان : ص 185 شرح الأستاذ عبد المنعم شلبي.
9 - صحيح البخاري : كتاب النكاح باب الغيرة.
10 - صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، ومسلم : كتاب التوبة 4/4114 ، واللفظ لمسلم.
11 - عمدة الأحكام /179.
12 - صحيح البخاري : كتاب النكاح ، وانظر فتح الباري 9/331.
13 - صحيح ابن حبان : 2/454 ، كتاب الرقائق ، وانظر المعتقدات والقيم / 786.
14 - في ظلال القرآن 4/2510 - 2511.
15 - عن واقعنا المعاصر: ص 294 - 295 ، الأستاذ محمد قطب.
16 - في ظلال القرآن : 3/1258.

أدب الاختلاف

موقف أهل السنة من مسائل الاجتهاد

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

في ظلال الصحوة المباركة التي تعيـشـهـا الأمة الإسلامية في أقطار المعمورة انتعشت الحركة العلمية ، وأقبل كثير من الشباب -ولله الحمد والمنة - على طلب العلوم الشرعية المختلفة - وهذا بلا شك مؤشر من مؤشرات الخيـر - ولـكـن أصـيـب بـعـض طــلاب الـعـلـم بآفتين خطيرتين :

الآفة الأولى : تسرع بعض طلاب العلم بالفتوى وهم لا يحملون من أدواتها إلا القليل . وقد قال الإمام ابن القيم : »ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعيــن من الفهم :
أحـدهـمـا: فـهـم الـواقــع والـفــقــه فـيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات ، حتى يحيط به علماً.
والثاني : فـهـم الـواجـب فـي الواقع ، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع.
ثم يطبق أحدهما على الآخر ، فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجراً ، فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله«(1).
والآفة الثانية: أن بعض طلاب العلم إذا بذل وسعه وقاده اجتهاده إلى تبني رأي في مسألة من المسائل ، يرى بأن ما توصـــــل إليه هو عين الحق الذي لا حق غيره ، وكل ما خالف قوله ليس مرجوحاً فحسب ، بل هو باطل..!
ويقوده هذا إلى أنه يريد أن يلزم الآخــريــن بالنتيجــة التي توصل إليها ، ويوالي في ذلك ويعادي ، فمن وافقه كان المحبوب الـمـقـرب ، ومن خالفه كان المقلد الجاهل! وقد يؤدي هذا - في بعض الأحيان - إلى التنازع والتقاطع وتفرق الكلمة.
وسوف أبين منهج أهل السنة والسلف الصالح في هذا الباب، وعـمـلـي فـيـــه هو الجمع والترتيب ، ولكن قبل الدخول في لب الموضوع وعند بيان موقف هؤلاء العلماء تجاه بعضهم في مسائل الاجتهاد لابد من الإشارة إلى ملحوظتين :
1 - إن علماء الأمة ما كانوا يختلفون تشهياً ، بل كان اختلافهم مبنياً على اجتهاد.
2 - أن العلماء هم أقرب الناس إلى الله وأكثرهم خشية له ، قال تعالى: ((إنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ)) [فاطر:28]، وقد ظهرت آثار هذه الخشية في فتاويهم وتورعهم عنها، قال سفيان : »أدركت الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بداً من أن يفـتـوا«.

أولاً: ذم الفرقة والاختلاف :

قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنتُم مُّسْلِمُونَ (102) واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ولا تَفَرَّقُوا)) [آل عمران:102-103] ، وقال تعالى : ((إنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإسْلامُ ومَا اخْتَلَفَ الَذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ)) [آل عمران:19].
وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : »إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم((2).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : »تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس ، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً ، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا«(3).
وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : »ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟(قالوا: بلى يا رسول الله ، قال : »صلاح ذات البين ؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة ، لا أقول : تحلق الشعر ، ولكن : تحلق الدين!«(4).

ثانياً: منهج الصحابة في مسائل الاجتهاد:

اختلف الصحابة - رضي الله عنهم - في مسائل كثيرة ، مع أنهم : »أبر الأمة قلوباً ، وأقلهم تكلفاً ، وأصحهم مقصوداً ، وأكملهم نظرة ، وأتمهم إدراكاً وأصفاهم أذهاناً ، الذين شاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، وفهموا مقاصد الرسول((5) ، ولم يؤد هذا الاختلاف في يوم من الأيام إلى التباغض أو التقاطع، بل كان يعذر بعضهم بعضاً مع بقاء الألفة والمحبة.
أخرج البخاري عن عبد الرحمن بن يزيد قال : »صلى بنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بمنى أربع ركعات ، فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، فاسترجع ثم قال : صليت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمنى ركعتين ، وصليت مع أبي بكر - رضى الله عنه - بمنى ركعتين ، وصليت مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بمنى ركعتين ، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان((6) ، وزاد أبو داود: »قال الأعمش : فحدثنى معاوية بن قرة عن أشياخ : أن عبد الله صلى أربعاً. قال : الخلاف شر«(7) ، وفي رواية للبيهقي : »إني أكره الخلاف«(8).
قال ابن تيمية: »وقد اتفق الصحابة في مسائل تنازعوا فيها ، على أن إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم ، كـمسائل في العبادات ، والمناكح ، والمواريث ، والعطاء ، والسياسة ، وغير ذلك. وحكم عمر أول عام في الفريضة الحمارية بعدم التشريك ، وفي العام الثاني التشريك في واقعة مثل الأولى ، ولما سئل عن ذلك؟ قال : تلك على ما قضينا وهذه على ما نقضي. وهم الأئمة الذين ثبت بالنصوص أنهم لا يجتمعون على باطل ولا ضلالة ، ودل الكتاب والسنة على وجوب متابعتهم. وتنازعوا في مسائل عملية اعتقادية ، كـ:سماع الميت صوت الحي ، وتعذيب الميت ببكاء أهله ، ورؤية محمد - صلى الله عليه وسلم - ربه قبل الموت ، مع بقاء الجماعة والألفة...«(9)..
وقال أيضاً: »... وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله : ((فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ

تَأْوِيلاً)) [النساء:59] ، وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة ، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية ، مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين ، نعم من خالف الكتاب المستبين ، والسنة المستفيضة ، أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافاً لا يعذر فيه ، فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع... وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط ، ولو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة...«(10).

ثالثاً: منهج السلف الصالح في مسائل الاجتهاد :

اختلف السلف الصالح - رضي الله عنهم - في مسائل كثيرة جداً ، ولم يكن ينكر بعضهم على بعض في مسائل الاجتهاد ، بل كانت قلوبهم الكريمة السورة تتسع لمثل هذه الأمور ، وإليك بيان منهجهم :

قال يحيى بن سعيد الأنصاري - وهو من أجلاء التابعين : »ما برح أولو الفتوى يختلفون، فيحل هذا ويحرم هذا ، فلا يرى المحرم أن المحل هلك لتحليله ، ولا يرى المحل أن المحرم هلك لتحريمه«(11).

وقال سفيان الثوري أيضا: »ما اختلف فيه الفقهاء فلا أنهى أحداً من إخواني أن يأخذ به((12).

وقال يـونـس الـصـدفـي : »ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني ، فأخذ بيدي ، ثم قال : يا أبا موسى ، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة«(13).

قال الذهبي تعليقاً على كلام الإمام الشافعي : »هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام ، وفقه نفسه ، فما زال النظراء يختلفو«ن.

وقال أحمد بن حنبل : »من أفـتـى الناس لـيس ينبغي أن يحمل الناس على مذهبه ويشدد عليهم«(14).

ومـن لـطـيـف مـا أثـر عـن الإمـام أحمد بن حنبل في هذا الباب قوله: »لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق بن راهويه ، وإن كان يخالفنا في أشياء ، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً«(15).

وقال ابن قدامة المقدسي: »لا ينبغي لأحد أن ينكر على غيره العمل بمذهبه، فإنه لا إنكار على المجتهدات«(16).

قـال ابـن تـيـمـيـة: »مـسـائـل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه«(17).

وقال أيضاً: »... فأما أن هذه المسألة - يعني : الاختلاف في ذبائح أهل الكتاب - أو نحوها من مسائل الاجتهاد يجوز لمن تمسك فيها بأحد القولين أن ينكر على الآخر بغير حجة ، فهذا خلاف إجماع المسلمين... فقد تنازع المسلمون في جبن المجوس والمشركين ، وليس لمن رجح أحد القولين أن ينكر على صاحب القول الآخر إلا بحجة شرعية.

وكذلك تنازعوا في متروك التسمية ، وفي ذبائح أهل الكتاب إذا سموا عليها غير الله ، وفي شحم الثرب والكليتين ، وذبحهم لذوات الظفر ، كالإبل والبط ونحو ذلك مما حرمه الله عليهم ، وتنازعوا في ذبح الكتابي للضحايا ، ونحو ذلك من مسائل.
وقد قال بكل قول طائفة من أهل العلم المشهورين ، فمن صار إلى قول مقلداً لقائله لم يكن له أن ينكر على من صار إلى القول الآخر مقلداً لقائله. لكن إن كان مع أحدهما حجة شرعية وجب الانقياد للحجج الشرعية إذا ظهرت«(18).
وقال شمس الدين الذهبي : »... ثم إن الكبير من أئمة العلم إذ كثر صوابه وعلم تحريه للحق ، واتسع علمه ، وظهر ذكاؤه ، وعرف صلاحه وورعه واتباعه : يغفر له زلله ، ولا نضلله ونطرحه ، وننسى محاسنه ، نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ، ونرجو له التوبة من ذلك«(19).
وقال ابن قيم الجوزية : ».. ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة ، وهو من الإسلام وأهله بمكان ، قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل مأجور لاجتهاده ، فلا يجوز أن يتبع فيها ، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته في قلوب المسلمي«ن(20).
رابعاً - عدم الإنكار لا يؤدي إلى ترك البيان وإظهار الحجة:
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: »... إن مثل هذه المسائل الاجتهادية لا تنكر باليد ، وليس لأحد أن يلزم الناس باتباعه فيها، ولكن يتكلم فيها بالحجج العلمية، فمن تبين له صحة أحد القولين : تبعه ، ومن قلد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه«(21).
وقال أيضا: »ومسائل الاجتهاد لا يسوغ فيها الإنكار إلا ببيان الحجة، وإيضاح المحجة، لا الإنكار المجرد المستند إلى محض التقليد ، فإن هذا فعل أهل الجهل والأهواء«(22).

خامساً - الاجتهاد السائغ لا يؤدي إلى التفرق والبغي :

قال ابن تيمية: ».. ولكن الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغي لا لمجرد الاجتهاد ، كما قال تعالى : ((ومَا اخْتَلَفَ الَذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ)) [آل عمران:19]. وقال : ((إنَّ الَذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)) [الأنعام:159] ، وقال : ((ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا واخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ)) [آل عمران:105]. فلا تكون فتنة وفرقة مع وجود الاجتهاد السائغ ، بل مع نوع بغي«(23).
وقال أيضاً: »قاعدة: في صفات العبادات التي حصل فيها تنازع بين الأمة في الرواية والرأي ، مثل : الأذان ، والجهر بالبسملة ، والقنوت في الفجر ، والتسليم في الصلاة ، ورفع الأيدي فيها ، ووضع الأكف فوق الأكف ، ومثل

التمتع والإفراد والقران في الحج ، ونحو ذلك ، فإن التنازع في هذه العبادات الظاهرة والشعائر أوجب أنواعاً من الفساد الذي يكرهه الله ورسوله وعباده المؤمنون :
أحدها: جهل كثير من الناس أو اكثرهم بالأمر المشروع المسنون الذي يحبه الله ورسوله ، والذي سنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأمته والذي أمرهم باتباعه.
الثاني : ظلم كثير من الأمة أو اكثرهم بعضهم لبعض وبغيهم عليهم ، تارة بنهيهم عما لم ينه الله عنه ، وبغضهم على من لم يبغضهم الله عليه ، وتارة بترك ما أوجب الله من حقوقهم وصلتهم -لعدم موافقتهم له على الوجه الذي يؤثرونه ، حتى يقدمون في الموالاة والمحبة وإعطاء الأموال والولايات من يكون مؤخراً عند الله ورسوله ، ويتركون من يكون مقدماً عند الله ورسوله لذلك.
الثالث : اتباع الظن وما تهوى الأنفس حتى يصير كثير منهم مديناً باتباع الأهواء في هذه الأمور المشروعة ، وحتى يصير في كثير من المتفقهة والمتعبدة من الأهواء من جنس ما في أهل الأهواء الخارجين عن أهل السنة والجماعة، كـالخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم.
وقد قال تعالى في كتابه : ((ولا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إنَّ الَذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)) [ص:26].
وقال في كتابه : ((ولا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وأَضَلُّوا كَثِيراً وضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ)) [المائدة:77].
الرابع: التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف، حتى يصير بعضهم يبغض بعضاً ويعاديه ، ويحب بعضاً ويواليه على غير ذات الله، وحتى يفضي الأمر ببعضهم إلى الطعن واللمز والهمز ، وببعضهم إلى الاقتتال بالأيدي والسلاح ، وببعضهم إلى المهاجرة والمقاطعة، حتى لا يصلي بعضهم خلف بعض ، وهذا كله من أعظم الأمور التي حرمها الله ورسوله، والاجتماع والائتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله.
وهذا الأصل العظيم وهو: الاعتصام بحبل الله جميعاً وأن لا يتفرق ، هو من أعظم أصول الإسلام ، ومما عظمت به وصية النبي - صلى الله عليه وسلم - في مواطن عامة وخاصة.. وباب الفساد الذي وقع في هذه الأمة ، بل وفي غيرها ، هو: التفرق والاختلاف ، فإنه وقع بين أمرائها وعلمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك ما الله به عليم ، وإن كان بعض ذلك مغفوراً لصاحبه لاجتهاده الذي يغفر فيه خطؤه ، أو لحسناته الماحية ، أو توبته ، أو لغير ذلك. لكن يعلم أن رعايته من أعظم أصول الإسلام ، ولهذا كان امتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الأمة بالسنة والجماعة ، ويذكرون في كثير من السنن والآثار في ذلك ما يطول ذكره ، وكان الأصل الثالث بعد

الكتاب والسنة الذي يجب تقديم العمل به هو الإجماع ، فإن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة...«(24).

سادساً: وقال في أن الاختلاف في المستحبات لا يؤدي إلى التفرق بل ينبغي تركها تأليفاً للقلوب :

».. وإذا كان النزاع إنما هو في الاستحباب علم الاجتماع على جواز ذلك وإجرائه ، ويكون ذلك بمنزلة القراءات في القرآن ؛ فإن جميعها جائز ، وإن كان من الناس من يختار بعض القراءات على بعض ، وبهذا يزول الفساد المتقدم ، فإنه إذا علم أن ذلك جميعه مجزئ في العبادة لم يكن النزاع في الاختيار ضاراً ، بل قد يكون النوعان سواء ، وإن رجح بعض الناس بعضها ، ولو كان أحدها أفضل لم يجز أن يظلم من يختار المفضول ولا يذم ولا يعاب بإجماع المسلمين ، بل المجتهد المخطئ لا يجوز ذمه بإجماع المسلمين. ولا يجوز التفرق بذلك بين الأمة ، ولا أن يعطى المستحب فوق حقه ، فإنه قد يكون من أتى بغير ذلك المستحب من أمور أخرى واجبة ومستحبة أفضل بكثير ، ولا يجوز أن تجعل المستحبات بمنزلة الواجبات يمتنع الرجل من تركها ويرى أنه قد خرج من دينه أو عصى الله ورسوله ، بل قد يكون ترك المستحبات لمعارض راجح أفضل من فعلها ، بل الواجبات كذلك. ومعلوم أن ائتلاف قلوب الأمة أعظم في الدين من بعض هذه المستحبات ، فلو تركها المرء لائتلاف القلوب كان ذلك حسناً ، وذلك أفضل إذا كان مصلحة ائتلاف القلوب دون مصلحة ذلك المستحب ، وقد أخرجا في الصحيحين : عن عائشة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لها: »لولا أن قومك حديثوا عهد بجاهلية لنقضت الكعبة ولألصقـتها بالأرض ، ولجعلت لها باباً يدخل الناس منه وباباً يخرجون منه«(25). وقد احتج بهذا الحديث البخاري وغيره على أن الإمام قد يترك بعض الأمور المختارة لأجل تأليف القلوب ودفعاً لنفرتها ، ولهذا نص الإمام أحمد على أنه يجهر بالبسملة عند المعارض الراجح ، فقال : يجهر بها إذا كان بالمدينة ، قال القاضي : لأن أهلها إذ ذاك كانوا يجهرون فيجهر بها للتأليف وليعلمهم أنه يقرأ بها ، وأن قراءتها سنة ، كما جهر ابن عباس بقراءة الفاتحة في صلاة الجنازة.

فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته ، وبهذا يزول الشك والطعن ، فإن الاتفاق إذا حصل على جواز الجميع وإجزائه علم أنه داخل في المشروع ، فالتناوع في الرجحان لا يضر ، كالتنازع في رجحان بعض القراءات وبعض العبادات وبعض العلماء ونحو ذلك ، بل قد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - كلاً من القراء أن يقرأ كما يعلم ، ونهاهم عن الاختلاف في ذلك ، فمن خالف في ذلك كان ممن ذمه الله ورسوله ، فأما أهل الجماعة فلا يختلفون في ذلك "(26).

سابعاً - المسائل التي يسوغ فيها الإنكار والمسائل التي لا يسوغ فيها الإنكار :

تنقسم المسائل التي اختلف فيها إلى قسمين :
القسم الأول : ما يسوغ فيها الإنكار ، بل يجب في بعض المسائل ، وذلك إذا خالف القول نصاً - من كتاب أو سنة - قطعي الدلالة، أو إجماعاً صحيحاً، كمن يقول بتحليل الربا، أو شـرب الـخـمــر، أو يـنـحـرف عن منهج أهل السنة والجماعة في باب العقائد المجمع عليها.
والقسم الثاني : المسائل التي لا يسوغ فيها الإنكار ، كمسائل الاجتهاد التي لا تتوفر فيها نصوص قطعية الدلالة، أو لا يوجد فيها نصوص بالكلية، وليس فيها إجماع صحيح، ومن أمثلة ذلك :
1 - اختلاف العلماء في الذهب الملبوس هل تجب فيه الزكاة أم لا؟
2 - عدد ركعات صلاة التراويح.
3 - النزول إلى السجود هل يكون على اليدين أم على الركبتين؟
وغير ذلك من الأمثلة التي اختلف فيها السلف الصالح فما وسعهم يسعنا.
قال الإمام ابن القيم : »وقولهم : إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح. فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول والفتوى ، أو العمل.
أما الأول : فإن كان القول يخالف سنة أو إجماعاً شائعاً وجب إنكاره اتفاقاً ، وإن لم يكن كذلك فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليل إنكار مثله.
وأما العمل : فإن كان على خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره بحسب درجات الإنكار ، وكيف يقول فقيه : لا إنكار في المسائل المختلف فيها؟!
والفقهاء من سائر الطوائف قد صرحوا بنقض حكم الحاكم إذا خالف كتاباً أو سنة وإن كان قد وافق فيه بعض العلماء.
وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع ، وللاجتهاد فيها مساغ لم تنكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً.
وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد، كما اعتقد ذلك طوائف من الناس ممن ليس لهم تحقيق في العلم ، والصواب : ما عليه الأئمة أن مسائل الاجتهاد ما لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوباً ظاهراً ، مثل : حديث صحيح لا معارض له من جنسه ، فيسوغ فيها - إذا عدم فيها الدليل الظاهر الذي يجب العمل به - الاجتهاد لتعارض الأدلة ، أو لخفاء الأدلة فيها«(27)..

الخاتمة :

في هذا العصر الذي تكالبت فيه قوى الشر من الشرق والغرب على المسلمين يحتاج أهل السنة والجماعة إلى رص الصفوف وتكاتف الأيدي وتآلف القلوب... وإلى نبذ جميع أسباب الفرقة الوهمية التي ليس لها حظ من الأثر أو النظر ، ونبذ الأهواء والتعالي على حظوظ النفوس.. ينبغي أن تتسع

صدورنا لمسائل الاجتهاد ، وأن لا تستهلكنا الاختلافات اليسيرة ، وأن نترفع عن القيل والقال والجدل العقيم الذي يقسي القلوب ويورث ضغائن القلوب ، وقد قال المصطفى - صلى الله عليه وسلم - : »ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل«(28) ، وإن أمانة حمل هذا الدين وتبليغه للناس أمانة عظيمة ، سوف نسأل عنها بين يدي جبار السموات والأرض ، ((يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ ولا بَنُونَ (88) إلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)) [الشعراء:89].

الهوامش :

1- إعلام الموقعين : 1 /87 - 88.
2- أخرجه : أحمد 3/313 ، 366 ، ومسلم 4/2166 ، والترمذي 1937.
3- أخرجه أحمد 2/268 ، 329 ، 389 ، 400 ، 465 ، 483 ، ومسلم 4/1987.
4- أخرجه أحمد 6/444 ، وأبو داود 4919 ، والترمذى 2509 ، وقال : هذا حديث صحيح ، وصححه الألباني في صحيح الجامع 2/359.
5- إعلام الموقعين 1/79.
6- أخرجه البخاري : 1084 ، 1657.
7- أخرجه أبو داود: 1960.
8- أخرجه : البيهقي في السنن الكبرى 3/144.
9- قاعدة في توحد الملة وتعدد الشرائع لابن تيمية، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية3/136
10 - مجموع الفتاوى 24/172 - 173.
11 - جامع بيان العلم وفضله 2/80.
12 - الفقيه والمتفقه 2/69.
13 - سير أعلام النبلاء 10/16 - 17.
14 - آداب الشافعي ومناقبه للرازي ص 44 ، وحلية الاولياء 9/96.
15 - الآداب الشرعية لابن مفلح 1/186.
16 - المصدر السابق 1/186.
17 - مجموع الفتاوى 20/207.
18 - مجموع الفتاوى 35/233.
19 - سير أعلام النبلاء 5/279.
20 - إعلام الموقعين 3/283.
21 - مجموع الفتاوى 30/80.
22 - مجموع الفتاوى 53/212 - 213.
23 - الاستقامة 1/ 31.
24 - خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة لابن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (3/115 - 117)، وانظر قاعدة في توحد

الملة وتعدد الشرائع لابن تيمية، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (3/ 140 - 142).
25 - أخرجه أحمد 6/57 ، 67 ، 92 ، 102 ، 113 ، 136 ، 176 ، 179 ، 239 ، 247 ، 253 ، 262 ، والبخاري 126 ، 1583 ، 1584 ، 1585 ، 1586 ، 3368 ، 4484 ، 7243 ، ومسلم 2/968 - 973.
26 - خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة لابن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية 3/124 - 125.
27 - إعلام الموقعين 3/288 ، ونسب ابن مفلح نحو هذا الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الآداب الشرعية 1/186.
28 - أخرجه : أحمد 5/252 ، 256 ، وابن ماجه / 48 ، والترمذي / 3253 ، وقال: حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

البيان الأدبي

ثغرة الأدب بين دعاة الإسلام وخصومه

يحيى محمد رسام

ذكـر الـكـاتـب فـي الحلـقـــة السابقة أهمية الأدب وخطورته، ومقدار ما يناله من اهتمام العلمانيين ، وبالمقابل ما يلـقــاه مـن إهـمـال الإسلاميين ، وفي هذه الحلقة يذكر المقترحات والملاحظات :

مقترحات للعلاج :

بـعـد أن تـبـيـن لنا خطورة هذه الثغرة واتساع مساحة ذلك الخلل، فـإنـنـا نـطـرح بـعـض المقترحات التي نرى أنها ضرورية وإيجابية:
أولاً: على العاملـين في الدعوة الإسلامية تشجيع الطاقات الشابة ممن يؤنس فيهم ميل إلى الأدب ، ودعوتـهـم إلـى التخصص في الدراسات الأدبية والإعلامية ، ليؤدوا من خلالها واجبهم الدعوي.
ثانياً: دعوة الأدباء الإسـلاميين للعمل على تشجيع المواهب الناشئة واحتضانها ، وتنمية الجانب الأدبي لديها ودفـعـهـا لمزيد من الصقل والتطوير ، عن طريق الإشادة مرة ، والنقد الأدبي مرة أخرى.
ثالثاً: العمل على إيجاد مجلة أدبـيـة أو أكـثـر تخـتـص بالأدب وفـنونه ونشر الدراسات الأدبية والنقدية ، وعن طريقها يتم التواصل بين الأدباء ، كما يتم الـتـعـارف والتعاون.
رابعاً : السعي لإقامة ندوات أدبية وإحياء أمسيات شعرية ، يدعى لها الأدبـــاء والشعراء والنقاد ، وتعالج فيها قضايا الأدب الإسلامي.
خامساً : إفساح المجال لركن الأدب والثقافة والـنـقــد الأدبـي فـي الصحف والمجـــلات الإسـلامـيـة ، ودعوة كل قادر للمشاركة بالكتابة ، وأن يتولى

تحرير تـلـك الأبــواب فـي الصحف والمجلات أصحاب نفوس مليئة بالأمل وسعة الأفق.

ملاحظات لابد منها :

1- يلاحظ على بعض أدبائنا - وخاصة الشعراء وكتاب القصة - أنهم يحصرون قراءاتهم في جوانب مـعـيـنـة مــن الثقافة ، مع أنه من الأهمية بمكان أن يكون الأديب المسلم على اطلاع واسع بإنتاج الشعراء والأدباء من كل مكان ، وخاصة مشاهير الأدباء العالميين ، ممن ترجمت بعض آثارهم إلى العربية ، وأما من لديه القدرة على متابعة إنتاج أولئك في لغاتهم الأصلية ، فذلك أدعى - بلا شك - إلى أن يرفد الأديب المسلم ثقافته ويوسع آفاقه (1) ، والأدباء المسلمين من غير العرب هم أولى الناس بأن يطلع على إنتاجهم.
2- إن بعض الأدباء المسلمين لا يتعرضون بالقدر الكافي للقضايا الحيوية التي تعيشها الأمة ، أو بتعبير آخر : تنقصهم الجرأة في معالجة بعض الأحداث المعاصرة أو التطرق إلى معاناة الجماهير اليومية ، فـمـثــلاً قضية الحرية لا تعطى حجمها المطلوب ، كما يطرحها أعداء الإسلام ، وإن كان طرحهم لها مشوهاً ناقصاً (2).

الأدباء الإسلاميون وممارسة النقد:

على الكبار من الأدباء أن يلتفتوا إلى عامل مهم من عوامل نشر الأدب وتوسيع قاعدة قرائه ، وهو أن يمارسوا (النقد الأدبي) على أوســـع نـطــاق ، فيتناولون إنتاج الأدباء الآخرين بالدرس والنقد الصادق والمحايد ، وجوانب التميز أو الـضـعــف ، وبيان ما تحتويه تلك الأعمال من مضامين وأفكار ، ولعل القصور في هذه القضية أوضــح من عين الشمس - كما يقال -، ولعل من ملامحها تلك الشكوى المرة التي يتحدث عنها بعض الأدباء الإسلاميين ، وفحواها أن العلمانيين حاصروهم إعلامياً خلال العقود الماضية ولا يزالون ، ونذكرهم أن الأديب والشاعر إذا لم يجد من يعرف الجمهور بأدبه فلن يجد من يقرأ له، وبالتالي يموت إبداعه،ذلك أن مهمة الناقد هو أنه يمثل جسراً بين المبدع والقارئ، وإذا كان كبار أدبائنا يجأرون بالشكوى من تجاهل النقاد لهم ، فلماذا يمارسون نفس الدور مع إخوانهم الشباب ، فلا يشيدون بمن يتمتع بمواهب أدبية ، ولا يدعون لقراءة إنتاجهم ، وما من إنسان إلا وترتاح نفسه لكلمة تشجيع أو استحسان ، وهذا شيء فطري ، بشرط أن لا يخرج هذا التشجيع إلى دائرة الملق والإطراء الكاذب.. ونحن لا نريد الإشادة بالمحاسن فقط ، بل نريد من يتعقب جوانب النقص والقصور ، والمهم أن لا يكون هناك إهمال.
وإنها لمسؤولية تتحملونها ، وما ندعوكم إليه هو جزء من حق إخوان لكم ، وإذا أردتم أن تستفيد الأجيال من إنتاجكم فعليكم ممارسة النقد الأدبي ، وغربلة إنتاج الأدباء ، سواء الرافضين للإسلام أو الناشئين من الشباب المسلم ؛ وإن

ما ينشر من سموم مقلدي الغرب أو الشرق لهو بأشد الحاجة إلى نقد أدبي قوي مستوحى من ينابيعنا الصافية .

الهوامش :

1 - نتكلم عن الأديب المسلم المحصن بطبيعة الحال أمام الشكوك والشبهات ، أما من لا يزال في مرحلة البناء الفكري فنخشى عليه أن يخدع أو تنطلي علبه بعض المفاهيم.

2 - لا شك أن العلمانيين توفر لهم فرص للعمل في وسائل الإعلام ومراكز الثقافة ودور النشر الكبرى ، حتى إنك تجد بعضهم يترك مهنته الأساسية ويتفرغ للأدب ، ثم يدعى للمشاركة في - المؤتمرات وتقام له الأمسيات ، وعندما يهاجمون الاستبداد في بلد ما يخضعون له ويتملقون له في بلد آخر.

البيان الأدبي

درب الأخوة (شعر)

أبو معاذ الخالدي

أشجان قلبي في صماخك تخفق
شعراً على سنن الهدى يتألق
أسعى لأفرغ في القصيد مشاعراً
فياضة.. فيصد عني المنطق
يا إخوتي درب الأخوة روضة
غناء ... فيها كل غصن مورق
يتفيأ الأحباب تحت ظلالها
نزلاً... به الأنداء جذلى تعبق
حبي لكم - يا إخوتي -لما يعد
سراً... وكيف؟ وكل عين تنطق!
بمحبة الله العلي ... أحبكم
حباً على جنبات قلبي يشرق
ولكل فرد في الفؤاد مكانه
ما ضاق عنه القلب... وهو الضيق!
***
نفسى الخؤون تجرني نحو الثرى
والطين ... والروح الأبي يحلق
وأظل بينهما كنسر طائر
حيناً.. وحيناً في الحضيض يصفق
رباه عبدك مذنب قعدت به

آثـامـه... فـهـو الأسـيـر الـمـوثـق
إن لـم تـداركـه بـسـابـغ رحـمـة
فـخـساره بـين الأنـام مـحـقـق
أسـتـغـفـرُ الله الـعـظـيـم جـرائـراً
فـيـهـا كـتـاب بـالـحـقـيـقـة يـنطق
***
فـي بـطـن أمـك -يـا نـسـي -تتابعت
آلاؤه ، فـهـو الـكـريـم الـمـغـدق
وبـظـهـر آدم مـوثـق أعـطـيـته
ألا تـضـل... فـهـل يـخـان الموثق؟
وأتـيـت دنـيـاك - الـتـي عـلَّـقـتها
نـضـواً ، حـقـيـر الـشأن ، حـيـاً تـرزق
لـو هـبـت الـنـسـمـات أزعـج مـسـهـا
بـشـراً ... يـكـاد لـمـسـهـا يـتـمـزق!
فـإذا اسـتـويـت نـسـيـت سـابغ فضله!
وهـو الـذي يـولـي الـجـمـيـل... ويـرزق
***
يـا إخـوة الـدرب الـظـلـيـل تـحـيـة
لـلـراحـلـيـن ... وكـم جـديـد يـخـلـق!

البيان الأدبي

درب الأخوة (شعر)

أبو معاذ الخالدي

أشـجـان قـلـبـي في صماخـك تخـفـق
شـعـراً عـلـى سـنـن الـهـدى يـتـألـق
أسـعـى لأفـرغ فـي الـقـصـيـد مشاعراً
فـيـاضـة.. فـيـصـد عـنـي الـمـنـطـق
يـا إخـوتـي درب الأخـوة روضـة
غـنـاء ... فـيـهـا كـل غـصـن مورق
يـتـفـيـأ الأحـبـاب تـحـت ظـلالـهـا
نـزلاً... بـه الأنـداء جـذلـى تـعـبـق
حـبـي لـكـم - يـا إخـوتـي -لـمـا يـعـد
سـراً... وكـيـف؟ وكـل عـيـن تـنـطـق!
بـمـحـبـة الله الـعـلـي ... أحـبـكـم
حـبـاً عـلـى جـنـبـات قـلـبـي يـشـرق

ولكل فرد في الفؤاد مكانه
ما ضاق عنه القلب... وهو الضيق!
***
نفسى الخؤون تجرني نحو الثرى
والطين ... والروح الأبي يحلق
وأظل بينهما كنسر طائر
حيناً.. وحيناً في الحضيض يصفق
رباه عبدك مذنب قعدت به
آثامه... فهو الأسير الموثق
إن لم تداركه بسابغ رحمة
فخساره بين الأنام محقق
أستغفرُ الله العظيم جرائراً
فيها كتاب بالحقيقة ينطق
***
في بطن أمك -يا نسي -تتابعت
آلاؤه ، فهو الكريم المغدق
وبظهر آدم موثق أعطيته
ألا تضل... فهل يخان الموثق؟
وأتيت دنياك - التي علّقتها
نضواً ، حقير الشأن ، حياً ترزق
لو هبت النسمات أزعج مسها
بشراً ... يكاد لمسها يتمزق!
فإذا استويت نسيت سابغ فضله!
وهو الذي يولي الجميل... ويرزق
***
يا إخوة الدرب الظليل تحية
للراحلين ... وكم جديد يخلق!

البيان الأدبي

درب الأخوة (شعر)

أبو معاذ الخالدي

أشجان قلبي في صماخك تخفق
شعراً على سنن الهدى يتألق
أسعى لأفرغ في القصيد مشاعراً
فياضة.. فيصد عني المنطق

يـا إخــوتـي درب الأخـــوة روضـــة
غـنــاء ... فـيــهـا كــل غـصن مورق
يـتـفـيـأ الأحـبـاب تـحـت ظـلالـهــا
نــزلاً... بـه الأنـداء جـذلـى تـعـبــق
حـبـي لـكـم - يـا إخـوتـي -لـمـا يـعـد
سـراً... وكـيـف؟ وكـل عـيـن تـنـطـق!
بـمـــحـبـة الله الـعـلـي ... أحـــبـكـم
حـبـاً عـلـى جـنـبـات قـلـبـي يـشـرق
ولــكــل فـــرد فـي الـــفـــؤاد مـكـانـه
مـا ضـاق عـنـه الـقـلـب... وهو الضيق!
***
نـفـسـى الـخـؤون تـجـرني نحو الثرى
والـطـيـن ... والــروح الأبــي يـحـلــق
وأظـــل بـيـــنـهـمـا كـنـســـر طــائـــر
حـيـنــاً.. وحـيـنـاً في الحضيض يصفق
ربـــاه عـبـدك مـذنـب قــعـــدت بـــه
آثــامــه... فـهــو الأســـيـــر الـمــوثــق
إن لـم تــداركــه بـســـــابـغ رحــمــة
فـخـــساره بـيـن الأنـــام مـحــــقــــق
أسـتــغـفـــرُ الله الـعـظـيـم جــــرائــراً
فـــيـــهـا كــتـــاب بـالـحـقـيـقـة يـنطق
***
فـي بـــطـــن أمــك -يـا نـسـي -تتابعت
آلاؤه ، فـــهـــو الــكـــريـــم الـمـغـــــــدق
وبـــظـــهـــر آدم مـــوثـــق أعـــطــــيــــته
ألا تــضـــــل... فــهــل يـخـــان الموثق؟
وأتـــيـــت دنـيـــاك - الـتــي علّـقــتها
نـضـواً ، حـقـيـر الـشـأن ، حـيـاً تـرزق
لـــو هـبـت الـنـسـمـات أزعـج مــسـهـا
بـشـــراً ... يـكــاد لـمـســهـا يـتـمـــزق!
فــإذا اسـتـويـت نـسـيـت سـابغ فضله!
وهـو الـذي يـولـي الجـمـيـل... ويـــرزق
***
يـــا إخـــوة الــدرب الـظـــلـيـل تـحـيــة
لـلـــراحـلــيـن ... وكـم جـديـد يـخـلـق!

البيان الأدبي

درب الأخوة (شعر)

أبو معاذ الخالدي

أشجان قلبي في صماخك تخفق
شعراً على سنن الهدى يتألق
أسعى لأفرغ في القصيد مشاعراً
فياضة.. فيصد عني المنطق
يا إخوتي درب الأخوة روضة
غناء ... فيها كل غصن مورق
يتفيأ الأحباب تحت ظلالها
نزلاً... به الأنداء جذلى تعبق
حبي لكم - يا إخوتي -لما يعد
سراً... وكيف؟ وكل عين تنطق!
بمحبة الله العلي ... أحبكم
حباً على جنبات قلبي يشرق
ولكل فرد في الفؤاد مكانه
ما ضاق عنه القلب... وهو الضيق!
***
نفسى الخؤون تجرني نحو الثرى
والطين ... والروح الأبي يحلق
وأظل بينهما كنسر طائر
حيناً.. وحيناً في الحضيض يصفق
رباه عبدك مذنب قعدت به
آثامه... فهو الأسير الموثق
إن لم تداركه بسابغ رحمة
فخساره بين الأنام محقق
أستغفرُ الله العظيم جرائراً
فيها كتاب بالحقيقة ينطق
***
في بطن أمك -يا نسي -تتابعت
آلاؤه ، فهو الكريم المغدق
وبظهر آدم موثق أعطيته
ألا تضل... فهل يخان الموثق؟
وأتيت دنياك - التي علّقتها

نـضـواً ، حـقـيـر الـشـأن ، حـيـاً تـرزق
لــو هـبــت الـنـسـمـات أزعــج مــسـهـا
بـشــراً ... يـكــاد لـمـســهـا يـتـمـــزق!
فــإذا اسـتـويــت نـسـيـت سـابـغ فضله!
وهـو الـذي يـولـي الجـمـيـل... ويـــرزق
***
يــا إخــوة الــدرب الـظــلــيـل تـحـيــة
لـلـــراحـلــيــن ... وكـم جـديـد يـخـلـق!

البيان الأدبي

درب الأخوة (شعر)

أبو معاذ الخالدي

أشـجـان قـلـبـي في صماخـك تخـفـق
شـعـراً عـلـى سـنـن الـهـدى يـتـألـق
أسـعـى لأفـرغ فـي الـقـصـيـد مشاعراً
فـيـاضـة.. فـيـصـد عـنـي الـمـنـطــق
يـا إخـــوتـي درب الأخـــوة روضـــة
غـنــاء ... فـــيـــهـا كــل غـصـن مورق
يـتـفـيـأ الأحـبـاب تـحـت ظـلالـهــا
نــزلاً... بـه الأنـداء جـذلـى تـعـبــق
حـبـي لـكـم - يـا إخـوتـي -لـمـا يـعـد
سـراً... وكـيـف؟ وكـل عـيـن تـنـطـق!
بـمــحـبـة الله الـعـلـي ... أحــبـكـم
حـبـاً عـلـى جـنـبـات قـلـبـي يـشـرق
ولــكــل فـــرد فـي الـــفـــؤاد مـكـانـه
مـا ضـاق عـنـه الـقـلـب... وهو الضيق!
***
نـفـسـى الـخـؤون تـجـرني نحو الثرى
والـطـيـن ... والــروح الأبــي يـحـلــق
وأظــــل بـيــنـهـمـا كـنـســـر طـائـــر
حـيـنـاً.. وحـيـنـاً في الحضيض يصفق
ربـــاه عـبـدك مـذنـب قــعــدت بـــه
آثـامـه... فـهـو الأســيــر الـمـوثــق
إن لـم تـداركـه بـســـابـغ رحـمــة
فـخــســاره بـيـن الأنـــام مـحـــقـــق

أستـغـفـرُ الله العظيم جـرائـراً
فـيـهـا كـتـاب بالحقيقة ينطق
***
في بـطـن أمـك -يا نسي -تتابعت
آلاؤه ، فـهـو الـكـريـم المغـدق
وبـظـهـر آدم مـوثـق أعـطـيـتـه
ألا تـضـل... فـهـل يخـان الموثق؟
وأتـيـت دنيـاك - التـي علّـقـتها
نـضـواً ، حـقـيـر الشأن ، حياً ترزق
لـو هـبـت النـسـمات أزعـج مـسـها
بـشـراً ... يـكـاد لمـسـها يتمـزق!
فـإذا استـويـت نسيت سابغ فضله!
وهـو الذي يـولـي الجـميل... ويـرزق
***
يـا إخـوة الدرب الظـلـيل تحيـة
للـراحلـين ... وكـم جـديد يخـلق!

ررر

البيان الأدبي

صور من الحياة

د. عمر عبد الله

ما إن أخذت مكاني من الطائرة، حتى رأيت ذات الرجل ... كـان أكثر المسافرين حديثاً وانشراحاً ... ولم يترك فرصة لتقديم المساعدة لأحد إلا بادر.. ، وعـلـى الـرغـم من جسده النحيل وقامته الصغيرة ، فإنه بدا أكثر أهل الحافلة الجوية نشاطاً!

أقبل نحوي وقال : يبدو أنك صديقي في الرحلة.. ، ومرافقي في المقعد. -

أجبـت : يبدو ذلك.

استقر على الكرسي المجاور.. وتنهد ثم قال :

- كم من الوقت ويحل وقت المغرب؟

- ربع ساعة.

- اللهم يسر ولا تعسر.. لقد كان الجو لطيفاً اليوم.. حمداً لك يا واهب النعم .

أخـذ فـي ترتيل دعاء السفر... ثم التفت إلي قائلاً :

- أتعـرف أنـنـي تعلـمـت هذا الدعاء من مذيع الطائرة... جزى الله خيراً من بادر لنشره وإذاعته.

-- يبدو أنك تسافر كثيراً؟.

- نعم .. كل أسبوعين .. كل نصف شهر أسافر إلى الرياض لأخذ »الكيماوي« .
- الكيماوي؟!
- علاج .. لقـد ابتليت بمـرض خطير ... انظر ... ثم وقف يريني ندباً من أثر الجراحات التي بدت متعددة .. استـأصـلـوه مــن الـبـطـن لكنه انتشر في بقية الجسم بعد عامين من العملية .. قضاء .. وقدر ..!
-الحمد لله على كل حال.
وأخذت أسـتـرسل مـعـه في الحوار ، فعرفت أنه فراش في دائرة حكومية وأنه أب لسبعة أطفال أكبرهم في التاسعة ، وبقية ذريته من الإناث ، ثم تابع :
- تعرف يا أخي .. إن نعم المولى كثيرة .. ، ووالله إنني بخير .. أشعر أنني بنعمة مادمت أدب على الأرض ، وعقلي معي ولساني يلهج بالثناء لصاحب المجد والملكوت.
سألته وقد كانت هيأته تدل على ضعف الحال :
- هل تملك داراً لك ولأولادك؟
- يا »مطوع« السعيد هو الذي يملك داراً هناك في الفردوس .. أما هنا فالديار عارضة!
كان يصر على مناداتي بلقب »يا مطوع (وحينما أعلن دخول وقت الإفطار أصر على أن لا ألمس أكل الطائرة قائلاً :
- أكل خواجات يا مطوع ... لا يصلح لنا ، هاك التمر الحقيقي .. دع عنك »المعلب«!.
- كلاهما خير.
- نعم ولكن حلفت عليك إلا أن تأكل .
- شكرته وأكلت من قصعته ... فإذا به يفاجئني وقد أخرج قرطاسا مليئاً »بالسمبوسة« وأقراص »الفلافل« .
- سم الله وكل يا مطوع .
- جزاك الله خيراً .
- أبداً يكفي اثنين ، دائماً أحضر فطور جاري في المقـعـد .. أتعرف أجر المفطر .. لا شك أنك تعرف يا مطوع ..
- دعوت له وأخذت تحت إلحاحه آكل وأتحدث معه عن أسرته ومصاعبه المادية فبدا إيمانه عميقاً ، وتوكله مطلقاً مع ما يواجهه من نوائب .
- تعرف أنني لا أملك بيتاً ولكني مطمئن .. مطمئن تماماً لو نزل القضاء قريباُ .
-كيف ، هل هناك أقرباء يرعونهم ؟
- يا مطوع .. كنت أحسبك ستفهم .. وراءهم من يطعم الطير في أعشاشها ويرزق الأجنَّة في الأرحام .. لن ينساهم ربهم .. ، إنني أتركهم في حال أسعد

من حالي حين تركني والدي يتيماً ... دع عنك المستقبل وتأمينه .. لا يؤمن القادم إلا رازق كل ذي كبد رطب !!
- صدقت ، لكن الأسباب مطلوبة ..
- علم الله أنني لم أقصر ... هاأنذا أقطع رحلتي السبعين طلباً للعلاج ... وهاهم أهلي يطلبون مني أن أقلل من جهدي بسبب المرض .. إنني أعمل »قهوجياً« في حفلات الأعراس ... وهي مستورة ... مادام أنه رزق شريف ، وكدح لا يعيب .. فأنا بخير .
استمر الحديث حتى قطعته إطارات الطائرة وهي ترتطم بالأرض .. ولا أدري لماذا شعرت بالارتباط بهذا الإنسان البسيط ، لقد تعلمت منه معاني عظيمة نعرفها جميعاً ، لكن لا يطبقها أو يمارسها بتلك القناعة سوى من رزقوا توكل الطير الخماص وهي تغدو ، كم كان رائعاً وهو يضع مفاهيم القدر والسبب ، وكم كان مقنعاً وهو يعيش النظرية والتطبيق بلا انفصام ، كم كان كريماً وهو الفقير ، ومقداماً وهو الضعيف ، وشريفاً وهو المكافح ، ومطمئناً في عصر القلق..
ودعته وأنا أقول كما قال أحد العلماء : »اللهم امنحني إيماناً كإيمان العجائز« وتفارقنا .. وأنا أصر أن يقبل دعوتي لإيصاله للمستشفى وهو يجيب بلهجة حازمة :
- سائق سيارة الأجرة ينتظرني .. إني أعرفه ، وأنا أعينه وهو أبو العيال عندما أنقده الأجرة .. لا جعلك الله سبباً في قطع رزق محتاج !!!
حقاً كم هو عظيم هذا الدين وهو يحول هذه الشخصيات إلى أمثلة للفطرة السليمة والإيمان العميق في عصر القلق والبعد عن الله .

البيان الأدبي

جناية الاستغراب على الأدب العربي

خميس بن عاشور

لكل أدب من الآداب خاصية وميزة يتميز بها عن غيره، ولا تكون شخصية الأدب واضحة ما لم يتحلَّ بهذه السمات الخاصة، ولا يعقل أن يتقمص أدب معين جميع الخصائص الفنية للآداب المختلفة في جميع العصور، مثلما يريد المحسوبون على الأدب العربي، فهو عندهم تارة أدب شرقي؟ وطوراً أدب غربي ، وفي أحسن الأحوال يجمع بين هذا أو ذاك بأسلوب مبتكر...
إن اللغة العربية لا يسعها أن تقحم في كل الميادين الفكرية المعاصرة إلا مكرهة ، لأن الكاتب العربي المستغرب ليس بمقدوره الاستغناء عن أداته في التعبير »اللغة(، هذه اللغة التي ترتبط بمفاهيم عقدية ارتباطاً وثيقاً ، وأول

هذه المفاهيم تلك التي تـضـمـنـهـا الـقـرآن الكريم ، الكتاب الأول للعربية بلا منازع.
فبأي حق تظل الميادين التي تجد فيها العربية ذاتها مهجورة؟! وما ذنب هذه اللغة إذا ما انحط أهلها وتخلفوا عن ركب التقدم؟.
نستطيع أن نقول : إن التراث يدخل في صميم التركيب الذي يتكون منه الأدب العربي ، ومع ذلك فلا نحتاج إلى من يذكرنا بضرورة المعاصرة؛ لأنه لا يخطر بلب العاقل أن العربي عندما ينشئ أدباً سيعمد إلى مقبرة فيلقي على سكانها من الأموات ما جادت به سليقته وما فاضت به مخيلته.
لقد دأب المستغربون على تـشـويه شخصياتنا التاريخية عن طريق إحياء أكاذيب القصاص وشعراء الشعوبية، حتى ترسخت بعض المفاهيم الهدامة التي تخدش نزاهة وكرامة أبطالنا الـتـاريخيـين الذين قادوا الحضارة الإنسانية...
ولم يبق للمستغربين إلا أن يدعونا صراحة لـدخــول جحر الضب ، حتى تكتمل بذلك أمنيتهم الغالية. وماذا أفاد »جورجي زيدان« في روايــاتــه الـتـاريـخـيــة التي هي انعكاسات لعقيدته وفكره المستغرب الذي يدعم به آراء المستشرقين.
إن الإسلامية أشمل وأعم من تلك المفاهيم الضيقة التي يعتنقها من لا تعنيهم هذه المسألة من المستغربين عامة ، فالأدب العربي أدب إسلامي كذلك ، وبالتالي فهو أدب عالمي تبعاً لعالمية الإسلام ، وهو بذلك لا يحتمل بعض المحاولات الذليلة لجعله إقليمياً انعزالياً ، كما يريده عبيد المدرسة الاستغرابية.
وهناك قضية أخرى وهي العالمية، فالعالمية فكرة نسبية تعتمد على مقاييس الذوق الغربي، فــالأدب الـعـالمي بالمفهوم السائد هو الأدب الذي ترضى عنه الأذواق والمقاييس الغربية ، فالعالمية هي ذلك الطـوق الــذي يجـعـله الأديب المستغرب في عنقه ليصل إلى هذا الهدف الكبير ، وهو الحظوة بدخول جحر الـضـــب..! ، ومما لا ريب فيه أن متعصبي نصارى العرب من هذه الحيثية ليسوا أمناء على الـعـربـيــة ؛ لأنهم عاجزون عن الدخول في كل الميادين التي تميز الأدب العربي منذ القديم. وربــمـــــا يتساءل البعض عما قدمه نصارى العرب الأولون سواء في الجاهلية أو في الإسلام ، والجواب هو أن مساهمة الأقدمين كانت لصالح اللغة العربية التي كانت قوية بقوة الثقافة الإسلامية آنذاك ، أما اليوم فلا يمكن أن تكون هذه المساهمة كذلك بعدما أصبحت الغلبة للثقافة الغربية ذات العقيدة النصرانية في عمومها ، ومادام الصراع الثقافي اليوم قائماً بين الــغـــرب الـقـوي المسيطر وبين غيره من الثقافات - التي منها ما ذاب في بحار التغريب، ومنها ما يذوب ومنها ما هو باق يتحدى عوامل الإفناء كالعربية - أمام هذا الصراع فإنه ليس للأديب اليوم

من خيار إلا أن ينحاز إلى فئة من الفئتين ، أما محاولة التوفيق فهي مسبقاً في كفة الغرب الراجحة.
ومن هنا كثرت القواقع والحفريات الممسوخة التي تحس ترجيع أصوات الرياح التي تخترقها بشكل وتخرج بأشكال مختلفة..
إن الأدب الذي يسمونه تراثياً - رغم رداءة بعضه - هو في الحقيقة أدب حي ؛ لأنه - وإن كان نبتة ضئيلة - يمتلك جذوراً يستقي بها مادة الحياة. وعلى العكس من ذلك فإن حياة الشجرة التي اجتثت من تربتها الأصلية إلى تربة أخرى غريبة عنها موقوفة على مدة بقاء الماء في عروقها وأوراقها ، والأدب الذي ينتمي إلى المدرسة الاستغرابية هو أدب ميت ، أو هو في طريقه إلى هذا المصير البئيس ، وذلك لمجرد ما تنتهي مهمته المتمثلة في التبليغ ؛ لأن المثقف الواعي لا يحبذ القراءة لصور منقولة ، بل يلجأ إلى الأصل ليقرأ الأدب الغربي بلغة غربية.
فالحروف العربية المقحمة في هذا الأدب هي حروف شكلية ، وتحف فنية جميلة مجردة عن الحياة لا مناص من توظيفها مؤقتاً ، حتى يصل المارد الغربي فيجوس خلال الديار ، وقد مهد لذلك وكلاء الغرب عندنا بالدعوة للعامية والإقليمية والتأليف على منوال هذا المنهج التفكيكي. وقد يخرج هؤلاء بين الفينة والفينة ، لإحداث بعض الزوابع الفكرية والثرثرات الأدبية سرعان ما تقوم مكبرات الصوت المستغربة بتفخيمها إلى درجة الثورات التجديدية ؛
والمعارك والحروب الأدبية ، تارة بمنح الوسام الفلاني للأديب الفلاني ؛ لأن عبقريته أوصلته إلى سب عشيرته واللهو بآثارهم وآدابهم ، وتارة بإيثار الكاتب الفلاني بالجائزة الفلانية ؛ لأنه أحدث بدعة في مسار الأدب والفكر العربيين ، حتى أضحت هذه المكرمات دليلاً كافياً على العمالة والردة الفكرية.
إن أفضل الجسور التي يمر عليها الغرب هم عبيد المدرسة الاستغرابية ، ولاسيما نصارى العرب الذين يمثلون نسبة لا تعكس كونهم أقلية من ناحية العدد ، ولكنهم من جانب آخر نصارى ، كما هي عقيدة الغرب الدينية. فهم إذاً لا يجدون من الحرج ما يجده العرب الآخرون عند الاحتكاك بالثقافة الغربية التي تحن إليهم ويحنون إليها ، ولا يفعل مثل ذلك العرب المنتمون إلى الإسلام إلا وفي نفوسهم عقد كثيرة ، فغياب هذه العقد عند نصارى العرب جعلهم القنطرة المفضلة للعبور والتلاقح ثم الذوبان البارد..
إن المستغربين لا يستطيعون قراءة التراث بغير عقولهم النابتة على أصول الغرب ، ولذلك جاء أدبهم خالياً من الوجدان العربي ، ميتاً موتاً معنوياً ، وهذا ما يجعلنا نجزم بأن غير العربي المسلم لا يمكن أن يكون أميناً على العربية وآدابها..
إن كثرة الإنتاج النقدي لا تعكس التطور الحقيقي للإنتاج الأدبي الإبداعي ، وخاصة بعدما أفل نجم الأسلوبيين من أمثال الرافعي والمنفلوطي ومحمد

البشير الإبراهيمي ، وقد تكون العلة هي أن الإبداع في الأدب العربي لا يتحقق في معزل عن التراث ، فالإنتاج الأدبي اليوم تغلب عليه الانتماءات المختلفة التي تصب في مجملها في بحر الثقافة الأوربية ، هذه الانتماءات التي يجمع أغلبها على التنكر للتراث والعبث به ، كلما سنحت بذلك فرصة ، وهذا ظناً بأن ذلك كفيل بتحقيق الإبداع الذي يرضى عنه الغرب ، ولكن النتيجة كانت تراجع الإبداع الأدبي ، وتقدم الإنتاج الفلسفي التأملي المشبع بأخلاط من العقائد والنحل ، حتى وإن لبس هذا الانتاج أشكالاً أدبية مختلفة ، وكذلك فإن سيطرة المدرسة الاستغرابية اليوم على الأدب والنقد رسخ هذا التوجه المنحرف الذي تستحسنه الثقافة الغربية ؛ لأنه يضع لها وبدون مقابل أفضل الموصلات التي تنقل مضامين هذه الثقافة إلى الشعوب المختلفة واضحة وضوح كل لغة لدى أصحابها؛ لأن هذه الشعوب تمثل المجال الحيوي لانتشارها الاستعماري في زيه القشيب ، وعلى العكس من ذلك فإن الاتجاه نحو الإبداع باعتماد سبله السليمة يقوي الآداب الأهلية ويحميها من الانحلال في الآداب الغازية.
إن بعض الأساليب التي توظف الحرف العربي ، إن لم تكن ترجمات رديئة لقراءات مستغربة - كحال بعض »المسارات((1) الفكرية العميلة لوكالات الغرب - فهي دون شك تثير التقزز والآلام ؛ لأننا سنضطر إلى استرجاع معلوماتنا في التحليل النفسي لكي نعثر على الحلول والتوفيقات الملائمة لما يصادفنا من عقد لاشعورية هي نتيجة لعدم القدرة على نسيان ما في هذه اللغة نسياناً تاماً ، مع الشعور بالضآلة والقزمية أمام محتويات الفكر والثقافة الغربية الباهرة ، ولا ندري لماذا لا تثير الميادين البناءة -بالنسبة لنا- في الفكر الغربي كلف المستغربين وشغفهم ، فهم لا يستوردون إلا ما يجعلنا نتمرغ في تربة الغرب ، حتى لا نرفعها مرة أخرى، وقد يطرق بعضهم أحياناً أبواب الديار ولكنه يتخطى الأزمان، لكى يجد نفسه مستريحة إما مع الفراعنة بناة الأهرام ، وإما مع الفينقيين أو الوندال. وفي غياب من الحركة النقدية العربية الأمينة فقد تجرأ الكثيرون على اختراق حدود الأدب والفكر العربي ، وصنع أجهزة الدعاية والإعلام الموجه من السخفاء والتافهين عمالقة .

الهوامش:

1 - مجلة (المسار المغربي) تصدر في الجزائر وهي مثال نموذجي لذلك.

تاريخ

الطبقة الخامسة من الصحابة
في كتاب الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد

»عرض وتحليل«

د. محمد بن صامل السلمي
إن الغالبية العظمى من مصادرنا التاريخية من أمثال، مغازي ابن إسحاق،ومغازي الواقدي وطـبـقـات ابن سعد ، وأنساب الأشراف، وفتوح البلدان، وتاريخ الطبري، وتاريخ بغداد، وتاريخ دمشق، قد دونت على منهج الجمع والتقميش،لا على منهج التحديث والتفتيش، على حد قول الناقد البارع يحيى بن معين : إذا كتبت فقمش وإذا حدثت ففتش (1).
فلا يستغرب الباحث الناقد وجود مجموعات من النصوص والأخبار الدخيلة والموضوعة في هذه المصادر وأمثالها، مما دون على هذا المنهج؛ لأنه قـد قــام عـلى اختراع ونشر وإذاعة هــذه النصوص الباطلة جيش كثيف من أصحاب الأهواء والحاقدين عـلـى ديــن الإســلام وأهله، وأصحاب الاتجاهات البدعية تشويهاً لتاريخنا وتأييداً لأهوائهم ونحلهم الباطلة.
وهــذه الـنـصـوص والأخـبــار الموضوعة هي إحدى الوسائل التي استخدمها المستشرقون في تشويه تاريخنا الإسلامي، كـمـا أنـنـا نجـد صـداهــا - مــع الأسف - في بعض الكتابات التاريخية المعاصرة.
ولذا فإن الأمر يتطلب من الباحثين صرف الهمم إلى تحقيق هــذه الـمـصـادر والعناية بها، وتمـيـيـز صحيحها من سقـيـمـهــا على مثال ما تم في ميدان السنة النبوية ، حتى تعرف النصوص الباطلة ، ويكشف ريفها ويصحح ما بني عليها من أحكام ونتائج ، وذلك على ضوء القاعدة الذهبية التي قررها علماؤنا:»إن كنت ناقلاً فالصحة،وإن كنت مدعياً فالبرهان والدليل«.
ومن المعلوم أن مجرد وجود الخبر في كتاب أو مصدر دون على منهج الجمع والتقميش لا يجعله صحيحاً، ومن ثم فلا يعفى من يستدل به من المسؤولية والتبعة ما لم يتأكد الباحث من صحته أو يقف على ما يؤيده.
وكتاب الطـبـقـات الكبير لمحـمـد بن سعد البصري المتوفى سنة 230 هـ - والمشهور بكاتب الواقدي - يعتبر من أوسع المصـادر وأقدمها في تاريخ الصحابة ، وصدر الإسلام ، وفي هذه المقالة نعرض لـدراسـة الطـبـقـة الـخامسة من الصحابة في هذا الكتاب (2) وذلك في النقاط التالية :
- أهمية هذا القسم من كتاب الطبقات.
- منهجه في عرض المادة العلمية.
- دراسة تحليلية لهده الطبقة.

أهمية هذا القسم من كتاب الطبقات :

يحتوى هذا القسم على تراجم صغار الصحابة - رضي الله عنهم - ، ومعرفة هذه الطبقة من الصحابة مهمة في علم الـحـديث ، حتى يعرف اتصال الرواية أو إرسالها ، لأن بعض هؤلاء الصحابة ليس لهم سماع وروايـة عـن النـبـى - صلى الله عليه وسلم - ، وإنما لهم رؤية وإدراك ، وبعضهم لم يسمع مـن النبى - صلى الله عليه وسلم - إلا القليل ، فتكون أحاديثهم التي لم

يسـمـعـوها من النبي - صلى الله عليه وسلم - من باب مرسل الصحابي الذي لم يسمعه من الرسـول - صلى الله عليه وسلم - مـبـاشرة ، وإنما سمعه من صحابي آخر ، وبعض هؤلاء ينازع في صحبته ، وابن سعد يثبتها ، وهذه فائدة .
كـمـا اشـتـمـلت هذه الطبقة على تراجم وأخبار مجموعة من الشخصيات المهمة والمؤثرة في الحياة العلمية والفكرية،والحياة السياسية والاجتماعية،فابن عباس،والحسن، والحسين، وعبد الله بن الزبير بن العوام ، من الشخصيات المشهورة في التاريخ الإسلامي ، والمؤثرة في مـجـرى الأحداث، وقد تزعموا قيادة المجتمع في عصرهم، وشـاركـوا فـي إدارة الـدولـة الإسـلامية، وفي الجهاد، وفي الأحداث الداخلية،والقضايا العامة،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى جمع شمل الأمه واتحادها ، كما حصل على يد الحسن بن علي. كما قاموا بالمعارضة لما رأوه خروجاً عن القاعدة الإسلامية وترك الشورى في الولاية العظمى ، كما فعل الحسين بن عليّ وابن الزبير من رفضهما البيعة ليزيد ، ثم خرج الحسين إلى العراق ، فكانت المأساة العظمى بقتله ، واعتصم ابن الزبير بمكة رافضاً البيعة ، حتى إذا مات يزيد دعا إلى نفسه، فبويع بالخلافة في معظم الأقاليم الإسلامية ، ولكن بني أمية ومن شايعهم لم يبايعوا له ، بل عقدوا بيعتهم لمروان ، ثم لابنه عبد الملك ، وجرت أمور عظيمة ، حتى حوصرت مكة ، وضربت الكعبة بالمنجنيق ، وقتل ابن الزبير مظلوماً في حرم الله.
وهذه الأحداث وقع في عرضها من الإخباريين والمؤرخين قديماً وحديثاً خلط وتشويه ، يحتاج إلى تحقيق وتحرير ، وابن سعد بما عرض من المعلومات والأخبار المسندة يساعد على إجلاء الصورة وتبين الحقيقة ، والتمكن من نقد المرويات على ضوء أسانيدها ، وقد تحقق لنا هذا من خلال المنهج العلمي الذي سلكناه في تحقيق نصوص هذه الطبقة ، وقد وجدنا أن ابن سعد ينفرد بذكر نصوص لا توجد عند غيره ، سواء في باب الأخبار والوقائع ، أو في باب الآثار عن الصحابة - رضي الله عنهم - من الأقوال والأفعال ، وبعض هذه النصوص بأسانيد صحيحة ، وبعضها بأسانيد يستفاد منها في الشواهد والمتابعات لنصوص أخرى ، فترفع درجتها ، وبعضها بأسانيد ضعيفة جداً.
كما أن في الأحاديث والآثار التي أوردها في تراجم أهل هذه الطبقة والبالغة : خمسة عشر وسبعمائة سنداً ، يستفيد منها أهل العلم في زيادة الطرق وتقويتها لما هو مروي عند غير ابن سعد.
وفي ترجمة ابن عباس أورد نصوصاً غاية في الأهمية ، توضح المنهج الذي ينبغي أن يسلك في معاملة المخالفين ، وكيفية محاجتهم ، وبماذا يحاجون؟ فقد أرسله عليّ بن أبي طالب إلى الخوارج الذين أنكروا التحكيم، وخرجوا على عليّ - رضي الله عنه - فقال له عليّ: اذهب إليهم ، وخاصمهم ، وادعهم إلى الكتاب والسنة ، ولا تحاجهم بالقرآن ؛ فإنه ذو وجوه.

وفي النص الثاني: القرآن حمال ذو وجوه، تقول، ويقولون، ولكن حاجهم بالسنن؛ فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً، فخرج ابن عباس إليهم، فحاجهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة(3).
فبيان الحق وإزالة الشبهة أول ما ينبغي أن يبدأ به مع المخالف، ثم إن المحاجة والمناظرة في المسألة موضوع الخلاف لابد أن تكون على منهج واضح صحيح ، وبحجة بينة قاطعة للنزاع، ولذا قال عليّ: القرآن ذو وجوه ، تقول ، ويقولون ، أي في تأويل الآيات ، ولكن السنة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - تحدد الوجه المراد من الآية ، وعندئذ لا مجال للاجتهاد في تأويل المراد بالآية مع وجود النص من النبي - صلى الله عليه وسلم -.
وقد أورد نصوصاً توضح موقف بعض الصحابة ، مثل : ابن عباس ، وابن عمر ، من الأحداث التي جرت في وقتهم ، مثل : بيعة يزيد ، وخروج الحسين، وبيعة ابن الزبير، فقد بايع ابن عمر وابن عباس ليزيد بن معاوية ، ونصحا من لم يبايع بالبيعة والدخول فيما دخل فيه عامة المسلمين ، مع أنه يوجد في الأمة من هو أفضل من يزيد وأولى بالأمر منه ، ولكن لا يتوصل إلى ذلك إلا بارتكاب مفاسد أعظم من المصالح التي تتحقق بتولية الأولى والأفضل، وقد نظرا - رحمهما الله - إلى الأمر نظرة شمولية، فاختارا أخف الضررين جلباً لأكبر المصلحتين ، وهذا هو منهج الاعتدال الإسلامي في التعامل مع مثل هذه الأحداث ، وقد التزما بهذه البيعة ، ولم يخلعا يزيداً عندما خلعه أهل المدينة ، ولما دعاهما ابن الزبير إلى البيعة له بعد موت يزيد قالا له : أنت في زمن فرقة وليس عندنا خلاف، ولكن ننظر حتى يتم الأمر وتأتسق لك البلاد، كما أنهما لم يبايعا لعبد الملك الذي دعا إلى نفسه في الشام ، ولا لمروان قبله ، فتركا الأمر حتى يجتمع الناس على واحد ، وهكذا ينبغي أن يكون التعامل مع مثل هذه الأحداث، ينطلق من مبدأ شرعي ملتزم، ونظرة شمولية ، توازن بين المصالح والمفاسد ، بحيث تتحقق أكثر المصالح وتندفع أكبر المفاسد ، وما حمد الذين خرجوا موقفهم ، وما تحقق ما أرادوا من المصالح إلا بارتكاب ما هو أعظم من المفاسد ، ولكنهم مع ذلك اجتهدوا فأخطأوا في اجتهادهم والله يثيب المجتهد وإن أخطأ.

منهجه في عرض المادة العلمية :

لقد عرض ابن سعد مادته العلمية وفق منهج يتسم بالدقة، والأمانة، والموضوعية، وجودة السبك والتنسيق ، إلا في مواطن قليلة ، قد يلاحظ فيها التكرار ، أو التعارض ، وعذره في ذلك يعود إلى طبيعة الأسلوب العلمي الذي اتبعه في تدوين المعلومات ، والذي يقوم على الجمع والاستقصاء للروايات الواردة في الموضوع الواحد ، وتدوينها بالأسلوب الحديثي القائم على الإسناد لكل معلومة وإن قل شأنها، والمستكثر للطرق وإن كانت المعلومة واحدة، وهذا الأسلوب يحقق الموضوعية العلمية ، فينقل إلى القارئ الأقوال

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

، برواتها ، وألفاظها، دون أن يتدخل بالانتقاء والحذف، الذي يؤدي إلى سلك الموضوع في اتجاه معين وهذا لا يجعلنا نعتقد أن دوره هو الجمع فقط ، ذلك أنه مع الجمع قام بعملية التصنيف والترتيب حيث وضع كل مادة علمية في موضعها المناسب ، كما أنه مارس النقد والترجيح (4) بين الروايات - بعد أن وضعها أمام القارئ ، وحتى لا يلزمه برأي محدد - ولكنه لم يكثر من هذا.

-ومن معالم منهجه الالتزام بالإسناد في غالب الكتاب (5) وأسانيده منها المتصل ، ومنها المرسل ، ومنها المعلق ، ومنها المنقطع ، ومنها المبهم ، مثل قوله : أُخبرت ، ذُكر لي ، روى قوم ، قال بعض أصحابنا ، قيل ، روي ، زعم بعض الناس.

كما أنه يستخدم الإسناد الجمعي في الأخبار الطويلة ، ثم يقطعه بأسانيد مفردة ، ثم يعود لسياق الخبر الأساسي ، بقوله : رجع الحديث إلى الأول.

- بعض التراجم مطولة (6)، ويقسم الكلام فيها إلى مباحث ومــوضــوعـــات، ويجعل لها عناوين، وبعضها مختصراً جدًا (7)، بل بعضها بدون ترجمة، ولعل مرد هذا إلى عاملين:

أولهما: مدى أهمية الشخص المترجم له وأثره في الحياة العامة أو الحياة العلمية.

وثانيهما: مدى توفر المعلومات عن الشخص المراد ترجمته ، فبعض الأشخاص تكون المعلومات عنهم كثيرة ، وبعضهم ممن لا تتوفر عنه معلومات عند المصنف على أقل تقدير.

يبدأ الترجمة بذكر الاسم ، ثم يسوق النسب ويرفعه إلى القبيلة التي ينتسب إليها ، ثم يذكر أولاده ، الأبناء والبنات ، وأمهاتهم ، ثم ينسب الأم ويرفع نسبها إلى البطن أو القبيلة ، إلا إذا لم تتوفر لديه معلومات.

ويوضح - غالباً - حال الأبناء من زواج وإنجاب ، أو موت قبل الزواج ، او انقراض النسل ، ويذكر

تاريخ ولادة المترجم له إذا توفرت المعلومات ، ويذكر بعض شيوخه وتلاميذه ، وبعض ما روى ، وانتقاله من مصر إلى آخر.

ويذكر تاريخ وفاته ، وسببها ، ومكانها ، وينهي ترجمة غير الصحابي -غالباً- بالحكم عليه جرحاً وتعديلاً ، وبيان منزلته عند المحدثين .

الهوامش :

1 - سير أعلام النبلاء 11/85.

2 - وقد يسر الله لنا تحقيقها على منهج علمي معلوم مقررة قواعده وأصوله »منهج المحدثين.

3 - انظر السند رقم (91 ، 92) في الطبقة الخامسة (مطبوعة على الآلة الكاتبة) ، وهما بمعنى واحد والنص صحيح أخرجه أحمد وغيره وإن كان ابن سعد رواه من طريق الواقدي.

4 - انظر: أمثلة لذلك في الطبقات : 3/245 ، 247 ، 449 ، 575 ، 583 ، 601 ، 626 ، والسند رقم 677 ، في الطبقة الخامسة.
5 - يقل استخدام الإسناد كلما اقتربنا من عصر المؤلف ، وخاصة عن التابعين وأتباعهم في المناطق التالية:واسط ، وخراسان ، والمدائن ، والرى ، وقم ، وهمدان ، وبغداد ، والأنبار ، والعواصم والثغور ، ومصر ، وأيلة ، وأفريقية ، والأندلس.
6 - مثل تراجم الخلفاء الأربعة ، وخاصة عمر ، ومثل ترجمة ابن عباس ، والحسن ، والحسين ، وعبدالله بن الزبير ، وبعض التابعين مثل : محمد بن الحنفية ، وسعيد بن المسيب ، وعليّ بن الحسين ، وعمر بن عبد العزيز ، ومسروق ، والشعبي ، وسعيد بن جبير ، وابن سيرين ، والحسن البصري.
7 - انظر الطبقات : 5/245 - 252 و 7/226 ، 227 ، 7/245 ، 7/284 ، 285.

شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

ماذا وراء انتصارات الجبهة الشعبية في مصوع

بلال محمد أحمد

ثلاثون عاماً مرت على الصــراع الأرتيري الأثيوبي ، ورحى الحرب مازالت دائرة يتعاقب عليها الطرفان دون أن تسحــق أحدهما نهائياً ، وإن كان الطرف الأثيوبي ظل يراهن على تصفية المقاومة الأرتيرية عسكـرياً، بيد أن الأيام أثبتت له ولغيره عدم جدوى هذه الفكرة، بل لمس بيده ما نجم عن هذه السياسة من مآسي عمت أثيوبيا كلها، إذ كان من مضاعفاتها تفجر الثورات في إقليم تجراي، وأرمو ، وتفاقم الأزمات الاقتصادية وتضعضع الأمن، وفقد الاستقرار ، وتردي الأوضاع الاجتماعية، فالتشتت الأسري ، ومظاهر التسول والتسكع كل ذلك من السمات البارزة التي خلفتها المشكلة الأرتيرية على العاصمة الأثيوبية أديس أبابا حيث تجد شعارات الحرب المعلقة على الأبنية الشاهقة والداعية إلى توجيه كل شيء إلى ساحة القتال تظلل من تحتها أرصفة مليئة بالجوعى ، والمتسولين.
ولم يأبه (منجستو) بكل معاناة شعبه وحــصـــر دائرة تفكيره في الأرتيرية عسكرياً إلا أن الجبهة الشعبية الأرتيرية التي أريد لـهــا الانـفـــراد بالساحة الأرتيرية بددت أحلامه وحالت دون تحقيقها ، وكانت جبهة »نـــادو« في الساحل الشمالي من أرتيريا أبرز المواقع التي تحطم فيها كبرياء العدو الأثيوبي، تلتها انتصارات مصوع الميناء الأرتيري الذي سقط مؤخراً على يد الجبهة الشعبية بعد مقاومة من الجيش الأثيوبي لم تدم أكثر من ست ساعات

تقريباً ، حيث فوجئت القوى البحرية الأثيوبية بزوارق تغرق سفنها القتالية ولم تمض لحظات إلا وصار الجيش الأثيوبي بين قتيل وأسير وغريق ومحاصر في جزر دهلك (1).
لقد بهرت هذه الانتصارات جموعاً كثيرة من الأرتيريين وهي بحق إنجاز عسكري كبير إلا أن هذا لا يعني أن تمضي هكذا دون وقفة تأمل وتفكر ، ورغم أن العاطفة هي سيدة الموقف غالباً إلا أن النظرة الواقعية تزاحمها أحياناً ، وأيا كان مردود هذا الانتصار على القضية الأرتيرية ، فإن عدة عوامل ذاتية وأخرى موضوعية تجمعت لتجعل منه تاجاً يلمع على رؤوس الجبهة الشعبية الأرتيرية.
معاذ الله أن نغمط الناس حقهم وإن كانوا دعاة إلحاد وزندقة ، فالتضحيات المقدمة من قبل الجبهة الشعبية مصانة ومقدرة غير أن حجم ما منيت به من خسائر يتضائل ويتصاغر لو قورن بأهمية الموقع واستراتيجيته ، حيث لم ترق المقاومة الأثيوبية للهجوم إلى مستوى أهمية الموقع ، بل كانت ظاهرة الهروب والاستسلام تسود الأوساط الأثيوبية المقاتلة ، فهل في الأمر شيء ما؟.
ثـمــة أمــور تـجــري وراء الـكـوالـيس وهي جديرة بالاستنطاق والتقصي فعالمنا اليوم مليء بالمتناقضات والمؤامرات التي تحيكها قـــوى الاستكبار العالمية لتحقق مصالحها وأهدافها ، والمرء حين يعود إلى الوراء قليلاً يجد الــعـامل الأمريكي يحتل موقع الصدارة من بين هذه العوامل، ثم تأتي بعد ذلك عوامل داخلية أخرى من خلالها تبدو الجبهة الشعبية الفارس الذي لا يقهر.
فمند أن تآمر الأمريكان على القضية الأرتيرية في فترة تقرير المصير ظل اهتمامهم بالمنطقة ينمو مع نمو الثورة الأرتيرية وتطورها ، ولم يغب عن بالهم أن يوماً ما سيحل تكون فيه مصالحهم على خطر وقد حدث بعد سقوط حليفهم هيلاسلاسي عام 74 م أن تسلل الروس إلى أثيوبيا غير أن هذا التسلل وإن كان لم يربك الأمريكان بشكل مفجع إلا أنه لم يجعلهم يغضون الطرف عن البحث عن حليف لهم يؤمن مصالحهم ويقيهم شر نمو حركات إسلامية جهادية في منطقة تشهد تمدداً إسلامياً ، لذا شهدت الخرطوم عاصمة السودان حضور رجال الاستخبارات الأمريكية يشاركون في عملية تهريب الفلاشا إلى إسرائيل ، وفي ذات الوقت يراقبون عن قرب وكثب حركة التحرر الأرتيرية بفصائلها المتعددة ويجمعون حولها دراسات وتقارير ، وعبر عملية معقدة ودقيقة للغاية استطاع الأمريكان أن يتخلصوا من أعتى تنظيم يمثل توجهاً ماركسياً خطيراً ويحمل في ذات الوقت بين أحشائه توجهاً إسلامياً ، وآخر قومياً عربياً يمكن أن يكون لهما شأن إذا ما تركا ينموان ويتكاثران ذلكم هو تنظيم جبهة التحرير الأرتيرية المجلس الثوري الذي لفظ

أنفاسه الأخيرة عام 1981م بعد أن ألقى عتاده العسكري أمام الجيش السوداني نتيجة تعرضه لهجوم شكلي من الجبهة الشعبية.
ومنذ ذلك الحين خلت الساحة للجبهة الشعبية وانفردت وحدها بالجيش الأثيوبي ، تطارده من مكان إلى آخر ، وتفرغت لتقوية بنائها الداخلي اقتصادياً وعسكرياً ، وشرعت في إبرام تحالفات مع قوى المعارضة الأثيوبية ، لاسيما تلك التي اتخذت من الولايات المتحدة موقعها الرسمي ، وتولت أجهزة الاستخبارات الأمريكية مهمة استمالة كبار ضباط الجيش الأثيوبي وقياداته العسكرية للسير وفق الخطة الموضوعة لإسقاط منجستو ، ومن هنا كانت العمليات العسكرية التي تشنها الجبهة الشعبية على مواقع العدو الأثيوبي لا تلقى دفعاً قوياً ، بل على العكس من ذلك كان يرتب لها مسبقاً من القيادات العسكرية الأثيوبية المتآمرة ، كما حصل في موقعة »أفعبت« التي أسر فيها خبراء روسيون ، وغنمت منها معدات عسكرية هائلة.
وأشركت الجبهة الشعبية في محاولة الانقلاب التي نظمتها الاستخبارات الأمريكية عام 1989 م على منجستو حيث أعلنت وقف إطلاق النار من جانبها ، وتفاعلت معها بحماس.
وسبق هذه الأنشطة العسكرية تحولات جذرية أتت على التنظيم من قواعده ، وجعلت منه يميناً متطرفاً بعد أن كان يساراً ، حيث قرر في مؤتمره الأخير الذي عقد عام 87 م إدانة السياسة السوفياتية العالمية بإصرار من الأمين العام (إسياس أفورقي) الذي وصف السوفيات بالوقوف أمام نضالات الشعوب على المستوى العالمي وخاصة القرن الأفريقي ، ولم يبد المؤتمر اعتراضاً على السياسة الأمريكية المعادية لتحرر الشعوب الأفريقية والأسيوية ، في حين أن تصريحات ما قبل هذا المؤتمر ظلت تؤكد قدرة الجبهة الشعبية على الإفلات من قبضة الإمبريالية الأمريكية ، حيث صرح عام 1981م لجريدة الوطن الكويتية قائلاً: نحن ضد الإمبريالية بشكل استراتيجي لا يتغير مهما كانت التغيرات التي تحدث في المنطقة أو في أرتيريا.. نحن لن نقف إلى جانب الإمبريالية الأمريكية لمواجهة ما يسمونه بالخطر السوفياتي في هذه المنطقة ، نحن لن نكون أداة لتغيير استراتيجيات إمبريالية في المنطقة ، كما لن نكون أيضاً أداة لتنفيذ الاستراتيجية السوفياتية رغم أننا مازلنا نعتبر الاتحاد السوفياتي في قائمة الأصدقاء.
ويلمس المرء اليوم فارقاً كبيراً بين حاضر التنظيم وماضيه ، ويبدو أن الراية الماركسية التي رفرفت على أرضية التنظيم إنما كانت تكتيكاً اقتضته طبيعة الخطة المرسومة ، فعلى صعيد قيادة التنظيم تحولت من قيادة جماعية إلى قيادة فردية ، حيث قرر المؤتمر تنصيب (أسياس أفورقي) أميناً عاماً للتنظيم ، ليس بجانبه مساعد ولا لجنة قيادية جماعية ، وهمش رمضان محمد نور الذي شغل فيما مضى منصب الأمين العام.

وقد سبق هذا الاجراء القيادي التخلص من عناصر ماركسية يخشى بأسها ، حيث تمت تصفية القائد العسكري إبراهيم عافه ، المنافس الرئيسي لأسياس أفورقي تحت ظروف غامضة..
عقب هذه التحولات الجذرية في المواقف الفكرية والسياسية تحركت أمريكا بمبادرة كارتر للسلام ، ومن قبل كان الاتحاد السوفياتي قد طلب من فرنسا عام 1988 م أن تلعب دورها في إخماد فتيل الصراع المشتعل في القرن الأفريقي ، إلا أن شروع كارتر في مبادرته قطع على فرنسا طريقها.
ومن جانب اخر ضغط الروس على منجستو وأنذروه بقطع المعونات العسكرية التي بلغ حجمها أكبر من ستة آلاف مليون دولار سنوياً إن لم يسارع في حل مشاكله بالطرق السلمية ، وأوضح الكرملين لنظام منجستو أنه لن يجدد معاهدة التسلح مع أديس أبابا 1991م ، كل ذلك أرغم منجستو ودون رغبة منه أن يجلس مع الجبهة الشعبية في مائدة التفاوض في أتلانتا ، ثم نيروبي ، ولعل منجستو رأى فيها مظلة استراحة يلتقط فيها أنفاسه ريثما يبحث عن حليف آخر ، إلا أن ضربات الثوار في تجراي جعلت منه كلباً مسعوراً ينبح دون توقف ، فقد وصلت قواتهم إلى مشارق العاصمة أديس أبابا ، وأخذت الجبهة الشعبية الأرتيرية تعمل على ترتيب قواها العسكرية للإجهاز على نظام منجستو المهترئ ، وعلى حين غفلة منه شنت غاراتها براً وبحراً على مدينة مصوع ، وتم الاستيلاء عليها ، وبالطبع لم يكن هذا الهجوم مفاجئاً للاستخبارات الأمريكية التي كانت بالتأكيد على علم بترتيباته.
ويمكن أن نلمس هذا من خلال الندوة التي أقامها الأمريكان إثر سقوط مصوع ، فقد نشرت جريدة الحياة تاريخ الجمعة 9/3/1990 الموافق 12/8/1410 أن الأمريكان عقدوا عقب سقوط مصوع ندوة شارك فيها هيرمان كوهين مساعد سكرتير الدولة لشؤون القارة الأفريقية ، وأندريو ناتوسيوز مدير الإغاثة الأفريقية في وزارة الخارجية الأمريكية ، وبول هنز الكاتب الخبير في شؤون القرن الأفريقي ، والباحث أدموند كيلر ، والأستاذ الجامعي جان هاوك ، ومسؤول جمعية الإغاثة الكاثوليكية ، وتوصلوا إلى نقاط أبرزها :
1 - الشعب الأرتيري ربط بأثيوبيا فدرالياً ضد رغبته وذلك قبل أن تضم أرتيريا نهائياً عام 1962 ، ومنذ هذا التاريخ فإن الشعب الأرتيري يحارب في سبيل حقوقه الشرعية وحقه في تقرير المصير.
2 - على الحكومة الأثيوبية أن تقول بصراحة ما إذا كانت حقاً راغبة في تحقيق السلام ؛ لأنها أولاً ماطلت في القضايا الشكلية لبدء المفاوضات الحقيقية قبل أن تقف عقبة كأداء في وجه مشاركة الأمم المتحدة كطرف محايد ومراقب في مجرى سير المفاوضات وعليه فإنها تتحمل ما يترتب على ذلك.

3 - الجبهة الشعبية لتحرير أرتيريا تقاتل الجيش الأثيوبي بأسلحته التي استولت عليها إبان المعارك وأن الأرتيريين الموجودين في المهجر يقدمون لهم دعماً مادياً.
4 - إن تنظيم الجبهة الشعبية بات وطنياً أكثر مما كان ماركسياً على صعيد القيادة والقاعدة ، ولم يعد لدينا أي شك في ذلك.
5 - إن الجبهة الشعبية في تقديرنا لن تعلن استقلال أرتيريا بعد استيلائها على مدينة مصوع ؛ لأنها قبل ذلك ستعمل لخلق أرضية إيجابية على الصعيد الدولي عموماً وعلى صعيد الدولتين العظميين خصوصاً ، وفي نهاية الندوة صرح بول هونز بقوله : لابد من إزاحة منجستو هيلي ماريام حتى يتحقق السلام بين أرتيريا وأثيوبيا.
وقال مشاركون في الندوة أن الدعم الإسرائيلي لأثيوبيا في خضم هذه التطورات التي يشهدها القرن الأفريقي عموماً ، والصراع الأرتيري الأثيوبي خصوصاً خطأ كبير.
وهذا الموقف الأمريكي في هذا الظرف بالذات يبعث على التساؤل ، ذلك أن ارتباط أرتيريا بأثيوبيا إنما تم بإصرار من أمريكا التي دعمت نظام هيلاسيلاسي سياسياً وعسكرياً ، تأميناً لمصالحها الاستراتيجية ، وصرح وزير خارجيتها جون فستر دالاس 1950 قائلاً: »إن المصلحة الاستراتيجية في البحر الأحمر وضرورات الأمن والسلام في العالم يقتضيان ضم أرتيريا إلى أثيوبيا الصديقة(، وكلما أرادت أمريكا تأمين مصالحها في منطقة ما ركبت ظهر السلام وعزفت على قيثارته ، فقد دعمت موقف هيلاسيلاسي تذرعاً بالأمن والسلام ، وهاهي الآن تتذرع أيضاً بالأمن والسلام وتحمل منجستو مغبة عرقلته لمساعيها ، ألم تكن أمريكا هي التي عكرت صفو الأمن والسلام في هذه المنطقة وحكمت على شعوبها بالموت والتشرد ، ويكفي أن أسياس أفورقي قال في تصريح له عام 1987م: يجب أن لا ننسى بأن الولايات المتحدة هي أصل البلاء الذي يعم أرتيريا منذ ثلاثة عقود أو أكثر.
فما الذي بشرت به حتى تقلب ظهر المجن ، وتسجل هذا الموقف الجديد من القضية الأرتيرية؟ أم لم تعد أرتيريا ذات أهيمة للمصالح الأمريكية؟ أم أعطيت عهوداً ومواثيق تضمن لها بقاء مصالحها الاستراتيجية؟ وما هي يا ترى النتائج التي يتحملها منجستو بإعاقته لمفاوضات السلام؟ ألا يمكن أن تكون هذه العبارة- حبلى بالجنين الأمريكي - أعني الاستقلال الكلي أو الجزئي؟.
وهل صحيح أن الجبهة الشعبية لا تتلقى دعماً خارجياً وتكتفي بما تغنمه من أسلحة وبما تحصل عليه من إسهامات الأرتيريين في المهجر؟ إذن من أين أتت الزوارق البحرية؟ حتى ولو قبلنا مقولة اقتنائها من الأسواق الحرة ، فكيف نصدق خلو هذه الأسواق من إشراف المخابرات؟ أم أن هذا تمهيد وتوطئة للعون الأمريكي المنتظر؟

ثم ما هي العوامل التي جعلت الأمريكان يؤكدون وبدون شك وتردد وطنية تنظيم الجبهة الشعبية على مستوى القيادة والقاعدة ألأن القيادة أصبحت في قبضة أسياسي أفورقي وزمرته بعد أن أقصي عنها قطعان الجويم من أبناء المسلمين الذين عبدوا ماركس ولينين وظلوا عليهما عاكفين؟ وماذا وراء هذا التأكيد بالوطنية لتنظيم الجبهة الشعبية؟ ألا ترى معي أن الأمريكان يعبدون له الطريق المؤدي إلى أرتيريا وإعلان كيانها؟
إن الأيام مثقلة والأحداث تشير إلى أن فصول المسرحية قد اكتملت أو كادت وفيما يأتي من أيامنا سنشهد تحركاً واسعاً على المستوى الدولي تمهيداً لإعلان أرتيريا المستقلة على يد الجبهة الشعبية ، وسيسعى الأمريكان جهد طاقتهم في إيجاد أرضية صالحة تسير عليها قدما أسياسي أفورقي بأمن وسلام ، وتذهب في ذات الوقت بمنجستو إلى حيث لا رجعة ، فكما صرح بول هونز في نهاية الندوة :»لابد من إزاحة منجستو هيلي ماريام حتى يتحقق السلام..(، طبعاً السلام الذي يخدم مصالح أمريكا ليس إلا.
وسوف لن يغفل هذا التحرك عن تطمين إسرائيل التي طالما أبدت تخوفها من استقلال أرتيريا وتحول البحر الأحمر إلى بحيرة عربية إسلامية ، ولكن إذا ما كان هذا ممكناً ومتوقعاً ، فهل يمكن أن تترك أثيوبيا حبيسة بلا منفذ بحري أم ستطرح حلول أخرى؟ مهما كان فإن الغرب ينظر إلى أثيوبيا نظرة إشفاق وعطف ؛ لكونها جزيرة مسيحية في محيط إسلامي ، من هنا يستبعد جداً أن تسحب أرتيريا بكامل مساحتها من الخارطة الأثيوبية دون أن يقتطع منها ميناء عصب الواقع جنوب البلاد على المدخل الشمالي لمضيق باب المندب ، ويستشف هذا من بعض المعلومات التي تسربت إلى دوائر دبلوماسية أجنبية في أديس أبابا ، حيث أفادت هذه الدوائر بأن آخر المعلومات التي سربتها شخصيات أثيوبية مقربة من الحزب الحاكم تفيد بأن استقلال أرتيريا إذا كان شراً لابد منه للخروج بالبلاد من متاهة أطول حرب عرفتها القارة السوداء ، وللحيلولة دون تمزق أثيوبيا إلى أشلاء قومية ، وعرقية ، وربما قبلية ، وتسخير كل الطاقات لبناء أثيوبيا الحديثة يفترض الشروع في إرساء أسس سياسية جديدة تحفظ ماء وجه أثيوبيا(2).
صحيح أن من الفصائل الأرتيرية من لا يقبل التنازل عن شبر من أرضه ، ولكن يبدو أن المطبخ الأمريكي قد فرغ من إعداد الوجبة بجميع مشهياتها ، والضيوف المدعوين علم كل منهم مأكله ومشربه ، وبهذا تكون أمريكا أسدلت الستارة لتبدأ مرحلة جديدة تحمل على عاتقها حماية المولود الجديد من الحركات الإسلامية الجهادية ، وتزويده بكل ما يسهل له عملية قمعها وإزالتها من الوجود ، وكفى بك أن تعلم أن الجبهة الشعبية نشرت في مجلتها (ساقم). العدد الثامن عشر الصادر في يناير 1989م ما يضعك على يقين مما قلتُ ، حيث قالت : »إن صيغة ما يعرف بالبديل الإسلامي هي صيغة غير مقبولة في

أرتيريا ولا تتماشى مع الواقع الأرتيري ، وأصحاب هذا التوجه تنتفي عنهم صفة الوطنية«.
ولا يخفى ما تنطوي عليه عبارة (تنتفي عنهم صفة الوطنية) فإنها مشحونة بما هو معروف وغير معروف من أساليب الإرهاب .

الهوامش :

1 - هي مجموعة جزر أرتيرية تقع في البحر الأحمر. قال أبو المقدام :
ولـــو أصبحت خلف الثريا لزرتها   نفـسـي ولـــو كانت بدهلك دورها
2 -الحياة : 2 - 3 كانون الأول - ديسمبر /1989م.

@الجزائر في الصحافة الغربية

لابد أن نتابع ما تكتبه الـصـحـف الغــربية المهمة عن بلادنا ، ونحلل أبعاد العقلية التي يفكر بها القائمون على هذه الصحف... وهذه ترجمة لمقال نشرته صحيفة التايمز في عددها الصادر في 26/2/1990 وعنوان المقال:»ثورة الجزائر ليست إلا جعجعة« وأهم ما ورد في هذا المقال :
أن فرنسا تفكر بالتدخل في الجزائر إذا انفـجـر الـوضـع الـحـالـي فـيها ، ولقد استفاضت الأخبار التي تؤكد عزم فرنسا على اتخاذ مثل هذا الموقف ، وهذا لا يعني أنها الآن واقفة على الحياد ولا تتدخل ، الحقيقة أن لها تحركاً واسعاً ولها أنصار داخل الجزائر.
ـ تأزم الخلافات بين قادة جبهة التحرير، وتهديدات قادة الجيش بأنهم لن يقفوا مكتوفي الأيـدي إذا فـشـلـت الـتـجربة الديمقراطية، أو ازداد المد الإسلامي، وهذا أيضاً صحيح، فخلافات قادة الجبهة لم تعد من الأسرار ، والهوة واسعة بين الأطراف المتصارعة.
ـ أما رموز المعارضة الذين وضـعـهـم بن جديد في الحكومة ، فالمقصود رموز المعارضة داخل جبهة التحرير ، وهذا شأن الأحـــزاب الحاكمة في بلادنا. أما الأحزاب الجديدة من غير جبهة التحرير فلا نعلم أنهم يشاركون في الحكومة ، وتستدرك الصحيفة نفسها فتقول : إن الحكومة والجمعية الوطنية كلها من أعضاء حزب جبهة التحرير.
إن الوضع غير مستقر في الجزائر، والناس يشكون من انتشار الفساد وغلاء الأسعار، وهناك جهات فعالة في جبهة التحرير ناقمة على كل ما يحدث ، ولن تتردد هذه الجهات إذا-اسـتـطـاعت السيطرة على شؤون الحزب الحاكم - في نسف الدستور الذي سمح بـتـعـدد الأحــزاب ، والـعــودة إلـى الوضع الذي كان في عهد بومدين. ولا نعتقد أن الإسلاميين في الجزائر غافلون عن ذلك.

ثورة الجزائر

»نحمد الله على أحداث عــام 1988 م ، فلولاها لحدث انفجار في الجزائر ، لاسيما وأن الجزائريين يشاهدون على شاشـــات التلفاز صور المظاهرات الشعبية العارمة التي تجتاح أوربا الشرقية، هذه كلمات قالها مسؤول حكومي رفيع المستوى بلسان فرنسي متقن. إلا أن الآخرين في المدن الجزائرية الكبرى قد لا يذهبون إلى حد التوجه إلى الله بالشكر من أجل ذلك الأسبوع الذي مر عليه الآن ما يقرب من سبعة عشر شهراً،والذي كان حافلاً بأحداث شغب خطيرة ، فتح خلالها رجال الجيش نيران أسلحتهم على المتظاهرين الشباب فقتلوا - وفقاً للتقديرات المتحفظة - عدة مئات. وليس من المؤكد أن يلي أحداث أكتوبر أحداث أشد خطورة منها.
ويعرف عن الحكومة الفرنسية قلقها الشديد حيال الأجواء الملـتـهـبــة في هذا البلد الذي كانت تظن فرنسا أنه سيبقى تحت حكمها على الدوام. وتقول تقارير صحيفة فرنسية أن باريس قد تفكر بالتدخل بشكل من الأشكال إذا ما انفجر الوضع الحالي وتحول إلى نزاع مفتوح.
إن الانفجار السياسي سيكون احتمالاً كبير الوقوع يوم الخميس (1/3/1990م) ، وهو اليوم الذي يتوقع أن يشنّ فيه الاشتراكيون المتشددون تحدياً محسوباً للإصــلاحات الاقتصادية الأخيرة ، وذلك في اجتماع اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني الحاكم.
وكانت الجبهة قد تشكلت لخوض معركة التحرير الضروس التي دامت ثمانية أعوام ، ومنذ تحقيق النصر في عام 1962م وهي تترأس دولة ذات نهج اشتراكي ونظام حزب واحد. ويسعى أفراد النظام السابق إلى إحداث تغيير في المكتب السياسي للحزب الذي يشكل فيه دعاة الإصلاح أغلبية ، والذي كان قد تم انتخابه في شهر كانون أول (ديسمبر) الماضي.
لقد كانت المشكلة الرئيسية لأولئك الذين خرجوا إلى الشوارع في عام 1988م سوء الأوضاع الاقتصادية ، ومنذ ذلك الوقت لم يحصل تبدل في أي شيء ، يقول أحد رجال الأعمال الجزائريين : لو أن أحداث الشغب وما رافقها من سقوط القتلى قد وقعت في هذه الأيام ، أي في أعقاب التطورات التي اجتاحت أوربا ، لما كان بإمكان الحكومة الصمود.
ولكي يجعل المسؤولون الشعب يستوعب هذه الحقيقة؟ وهو يراقب ما يحدث في أوربا الشرقية؟ ، فإن ما كان يطلق عليه اسم حوادث 1988 أصبح يطلق عليه الآن ثورة 1988.
وخلافاً لما يحدث في دول أوربا الشرقية ، فإن ثورة الجزائريين يتم توجيهها من الجهات العليا ، فقد تقدم الشاذلي بدستور جديد للبلاد ، كما أن نظام الحزب الواحد قد انتهى رمزياً مع تشكيل عشرين حزب سياسي جديد ، إلا أنه لم تجر بعد أية انتخابات عامة في البلاد. وتتألف الحكومة والجمعية الوطنية بشكل كامل من أعضاء حزب جبهة التحرير.

ويتحدث الرئيس الشاذلي بن جديد عن الحاجة إلى الوحدة الوطنية ، وقد وضع بعض رموز المعارضة في الحكومة ، إلا أن حسين آيت أحمد - الذي عاد مؤخراً من منفاه - طالب علانية بحل الجمعية الوطنية وإجراء انتخابات. كما أن القوات المسلحة والمتركزة حالياً في ثكناتها وفقاً لمطالب الدستور الجديد أعلنت على لسان قادتها بأنها لن تقف موقف المتفرج إذا ما فشلت العملية الديمقراطية ، أو ازداد المد الإسلامي الجزائري المتطرف وأصبح يشكل خطراً.
لقد أصبحت الجبهة الإسلامية للإنقاذ - منذ أن باتت هي الحزب الإسلامي الوحيد المرخص له في المغرب العربي - أكبر مظلة يتجمع تحتها وبشكل مطرد الأنصار الساخطون على نمط معيشتهم اليومية ، ولجبهة الإنقاذ سيطرة على خطب الجمعة في مساجد العاصمة الرئيسية ، وقد ناشدت الجبهة - وهي أقوى أحزاب المعارضة - أعضاءها ضرورة تحقيق الوحدة فيما بينهم.
إلا أن الشباب الذين خرجوا إلى الشوارع في مظاهرات عارمة احتجاجـــاً على ارتفاع نسبة البطالة ، وغلاء الأسعار ، وانتشار الفساد ، مازالوا ينتظرون من يوفر لهم العمل والسكن. وقد نجحت الجبهة في استغلال حالة الشعور بخيبة الأمل التي أصابت هـــؤلاء الـشـبـاب أروع استغلال ، وهو الأمر الذي باتت الدول المجاورة للجزائر تخشى من عواقبه.
التايمز 26 / 2 / 1990م

اضطرابات تركستان الصينية

أخبر قادمون إلى بكين مـن أورومكي - عاصمة تركستان الشرقية - عن حدوث اضطرابات قرب مدينة كشغر فـي أوائـــل شهر نيسان (إبريل) ، وأن قوات الأمن الصينية قامت بقمع المتظاهرين بعد أن قتلت ما لا يقل عن (65) مسلماً تركستانياً ، ومنعت المراسلين الصحفيين من دخول المنطقة، ولم يصدر عن أي مسؤول صيني أي تعليق عن الأحداث. ومن المحتمل أن تكون الأحداث قــد امتدت الى مناطق أخرى من تركستان. وكانت هذه الاضطرابات قد بدأت عندما منعت الـسـلـطـات الصـيـنـيـة الأهالي من بناء مسجد جديد ومدرسة دينية في المنطقة. وتعكس الطريقة التي تعاملت بـهـــا قــوات الأمـــــن مع الأحداث حساسيتها من الخطورة التي تنطوي عليها ، لاسيما وأن المنطقة تمثل حـقـلاً لبرنامج التجارب النووية ، ومركزاً هاماً لمحطات التنصت الأمريكية الموجهة نحو الاتحاد السوفييتي ، كما أن قربها الجغرافي من جمهوريات آسيا الوسطى المسلمة يجعلها غير مستقـــرة ، وكان رئيس الوزراء الصيني قد دعا في شهر شباط (فبراير) الماضي إلى الاحتراس

والحـــذر من تلك الحفنة من الانفصاليين ، وقال: »إن علينا استئصال جميع النشاطات الانفصالية وهي في طور تشكلها«.
ويبلغ تعداد السكان فـي إقـلـيـم تركستان الشرقية - الذي تعادل مساحته ضعف مساحة فرنسا - (14) مليون ، منهم نسبة 60% من المسلمين و 30% من الصينيين الذين كانوا قد نُقلوا من أماكن مختلفة من الـصـيـن لإحداث تغيير ديموغرافي في الإقليم ، ويحتكر هؤلاء جميع المناصب العليا هناك ، لاسيما الحزب والجيش.
وكانت تركستان الشرقية قد شـهـدت مـظــاهرات احتجاج واسعة النطاق في عامي 1981م و1988م ، قام الجيش بقمعها في آنها ، ويـعـتـبـر تــاريخ تــركستان الشرقية منذ احتلال الـصين له أول مرة في منتصف القرن الثامن عشر حافلاً بالثورات والاحـتـجـاجـات الـتـي كانت تقابل دائماً من قبل الصينيين بالبطش وسفك الدماء.
فايننشيال تايمز 11/4/1990
الأيكونوميست 14/4/1990
الإندبندنت 15/4/1990

أخبار حول العالم

قواعد إسرائيلية في أرخبيل دهلك

ذكرت وكالة رويتر للأنـبـاء في 16/4/1990م : أن الجبهة الشعبية لتحرير أريتريا وجهت تحذيراً إلى الحكومة الأثيوبية من عواقب دعوة وجهتها الأخيرة إلى إسرائيل لإنشاء قواعد لها في أرخبيل دهلك الواقــع في البحر الأحمر قبالة الساحل الأرتيري ، وأشارت الجبهة إلى أن هذا التطور الجديد سيعني تورطاً إسرائيلياً مباشراً في الحرب الدائرة في أرتيريا ضد القوات الأثيوبية ، وهو يأتي في أعقاب نجاح الأرتيريين في تحرير ميناء مصوع.

إيران : قتل واعتقالات بالجملة

ذكرت وكالة الأنباء الفرنـسـيــة في نبأ لها من طهران : أن قوات الحرس الثوري قامت في يوم 15/4/1990م باعـتـقـــال (65) شخصاً بتهمة إطلاق شعارات سياسية في مكان عام في ضواحي طهران الشمالية ، وأوردت الصحف الإيرانية الحدث وقالت : إن »مشاغبين« قاموا بالإخلال بالأمن العام وأطلقـوا شعارات ضد الأخلاق العامة. كما ذكرت الصحف الإيرانية أن اشتباكات أخرى وقعت في حي فقير في جنوب العاصمة ، وأن أعداداً من المواطنين غير محددة قد تم اعتقالها.

ومما يجدر ذكره أن وسائل الإعـلام الإيـرانـيـــة كـانت قد ذكرت أن ما لا يقل عن (30) شخصاً قتلوا ، وتم جرح أعداد كبيرة في مصادمات مع حراس الثورة والجيش النظامي من جهة »وأعداء الثورة« من جهة أخرى ، وذلك في منطقـتـي سيـسـتـــان وبلوشستان المحاذية لباكستان وأفغانستان.

الحياة 17/4/1990م

هروب الهندوس من الانتفاضة

في وقت تشتد فيه مجابهة المسلمين الأصوليين في وادي كشمير - بـشـكـل يـنـذر بالسوء - للـقـــوات الهندوسية المعززة ، أخذ عشرات الآلاف من الهندوس المستوطنين هناك بـتـرك منازلهــم وقـراهـم والابـتـعـاد عـــن مسرح الانتفاضة التي يقودها المسلمون (الانفصاليون)، وتضيف هجرة الهندوس هذه بعداً جديداً للصراع هناك الذي يكتسب هذه المرة طابعاً دينياً لم يـعـرف من قبل ، وقد غادر ما يزيد على (120) ألف من الهندوس وهو ما يشكل نصف عددهــم هـنـاك ، ويستعد النصف الآخر للرحيل ، ويترافق هذا الرحيل مع قيام منظمات جهادية بـفـرض الإسلام الأصولي على مرافق الحياة اليومية هناك ، وتسيطر هذه المنظمات على مجريـــات الحـيـــاة اليومـيـة في كشمير في وقت اختفى فيه التعلق التقليدي بالصوفية المتحررة.

من جهة أخرى ، استمرت تهديـــدات الـحـرب من كلا الطرفين : الباكستاني والهندي ، بشأن النزاع في كشمير على الرغم من تأكيد مـسـؤولين في إسلام آباد ودلهي على عدم توقع وقوع قتال على نطاق واسع.

التايمز 16/4/1990م

الزاوية الطيبة

رياضة المشي .. والصحة

د. خالد الموسى

إن ريـاضـــة المشي رياضة سهلة وبسيطة، يقدر عليها الصغير، والكبير السليم، والـسـقـيـم الصحيح، والمعافى والمريض ، وهي بحد ذاتها ممتعة ومسلية ، خاصة إذا اختار صاحبها وهاويها الأماكن الطبيعية المناسبة كالتمشي في الحدائق تحت ظلال الأشجار ، أو على شط البحر أو الأنهـــار. فتضفي جمال الطبيعة مع التأمل في قدرة الخالق وتسبيحه وحمده على نعمه متعة شخصية.

والمشي والهرولة رياضة مفيدة لكل أعضاء الجسم إذ أثبتت الدراسات الحديثة فائدتها في:

1 - علاج أمراض القلب الوعائية: حيث ينصح مرضى القلب بالتدرج بالمشي والهرولة ، وذلك لأنها تؤدي إلى :
أ - تقوية العضلة القلبية وزيادة النتاج القلبي الفعال.
ب - إنقاص وتخفيض نسبة الدهون الضارة والكولسترول بالجسم.
ج - زيادة نسبة الدهون الواقية من تصلب الشرايين والمفيدة للجسم.
2 - علاج ارتفاع التوتر الشرياني: حيث أظهر الكثير من الدراسات جدوى علاج ارتفاع الضغط الشرياني الخفيف والمتوسط الشدة بالمشي والهرولة اليومية لمدة ساعة إلى ساعتين، حتى بدون اللجوء للأدوية في كثير من الحالات.
3 - علاج البدانة وزيادة الوزن : حيث تعتبر مع الحمية الغذائية حجر الزاوية في علاج البدانة ، وذلك بحرق كميات لا بأس بها من الحريرات والسعرات الواردة للجسم. ولها الدور الأول والأساسي للمحافظة على الوزن وثباته ، وذلك بالاستمرار اليومي على المشي.
4 - علاج الآلام العضلية والمفصلية: حيث تؤدي إلى تليين وسهولة حركة ونشاط المفاصل واتساع مدى فعاليتها إضافة لارتخاء العضلات وليونتها مع تخفيف الشد والتشنج الذي كان بها ، وأيضاً تقوية تحمل العضلات والمفاصل .
5 - علاج عسر الهضم ومتلازمات تشنج الكولون والإمساك المزمن، حيث تساعد على حركة الأمعاء وتخفيف الآلام الكولونية إضافة لتخفيف الغازات والشعور بالانتفاخ والغثيان. مع تنظيم إفراغ الكولون.
6 - تساعد في عملية التنفس الطبيعي بتقوية عضلات التنفس والعضلات الصدرية ، مما يزيد السعة الرئوية والتبادلات الغازية الدموية وبالتالي فعالية التنفس وتحسين وظيفة الرئتين في كثير من الأمراض التنفسية المزمنة.
والمهم في فائدة هذه الرياضة البسيطة الخفيفة أن يتعود عليها الإنسان وببرنامج شبه يومي أو أسبوعي بدون انقطاع ويمكن استغلال الوقت من خلال المشي بمراجعة بعض الكتب الصغيرة أو قراءتها أو حفظ القرآن ومراجعته أو بذكر الله تعالى ، وبذلك يرتبط مع الله عز وجل إضافة للفائدة الجسمية.

الزاوية الطبية

أمراض عصرية في الميزان

د. خالد الموسى

سنتناول في سلسله من الحلقات بإذن الله بعض الأمراض القديمة - الحديثة من منظور عصري ، ومن منظار إسلامي بنفس الوقت ، وسواء كانت

هذه الأمراض عضوية أم نفسية أم اجتماعية وسلوكية أو بيئية.. لما لها من تأثير ضار على الإنسان ، سواء على صحته أو نفسيته وسلوكه ، أو ما يفسد بيئته ومحيطه من التأثيرات الضارة..
ونظــراً لانـتـشـار الكثير من هذه الأمراض في عصرنا، فإنه من الواجب علينا توضيح هــذه الأوبئة العصرية، بصورة مبسطة وعلمية، كخطوة أولية للحفاظ على الصحة.. بل والوقاية من الأمراض أصلاً .. وذلك كـضـرورة ديـنـيــة؛ لأن ذلك من تحقيق مقاصد الشرع في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

التدخين ذاك السّم القتال

لقد عرف التدخين والتبغ عند الهنود الحمر في أمريكا اللاتينية والمكسيك وكوبا ، ومن ثم انتقل إلى أرجاء العالم. لقد اعتاد كثير من النـاس عـلـى تدخـيــن السجاير أو الغليون أو النرجيلة ، وتفشت هذه العادة السيئة في كثير من المجتمعات الإسـلامية ، بــل والأسر الـمسلمة والبيوت المتدينة والمحافظة ، وذلك نتيجة للاحتكاك والاختلاط الاجتمــاعــي والدولي والتجاري منذ القديم وإلى الآن بصورة أوسع وأسرع.
وللأســف لقد ساد مفهوم خاطئ عند البعض بأن التدخين يمثل وجهاً حضارياً جديداً ، ومعبراً عــن الرقي والمكانة الاجتماعية ، ودليلاً على المستوى الثقافي والمركز العلمي.. بل اعتبره الـبـعــض دلالة على الـرجــولة وعلامة على القوة والشباب ، ودلالة على الفتوة والنشاط.
وقد تفشت هذه العادة حتى عند الـنـسـاء والسـيـدات في مجتمعاتنا بدعوى التمدن والتقدم والرفعة الاجتماعية... ومــع هذا برزت مـغـريــات ، وراجت دعايات خاطئة بأنه يريح النفس ، ويهدئ الأعصاب ، ويساعد على قوة التركيز ، وزيادة النشاط الذهني.
ونسي أو تناسى أولئك أن هذا السلوك هو اتجاه خاطئ وعادة خطيرة.. سواء على مستوى الفرد أو المجتمع ، بل إنه انتحار بطيء مع سبق الإصرار والتصميم وقتل النفس ، وطريق للهلاك، والدمار. يقول تعالى: ((ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إلَى التَّهْلُكَةِ)) [البقرة:195].
ومن هذه التهلكة تأثير التدخين (بشتى أنواعه) على معظم أجهزة الجسم بشكل تدريجي وبطيء.

ومنذ البدء نشير إلى أن التأثير الضار للتدخين يكون باتجاهين مهمين :

1 - تـأثــير ضـــار موضعي مباشر: عن طريق استنشاق أغبرة ودخان السجاير أو الغليون والنرجيلة.

2 - تـأثـيـر ضــار عــام : بما يحتويه من مواد كيماوية ضارة.. ومسرطنة: كالنيوكوتين والقطران وتأثيراتها على الجسم وأجهزته.
ورغـم انـتـشــار التدخين في البلاد الغربية، فحملات التوعية ومكافحة التدخين والمراقبة على شــركــات تـصـنـيـع الـسـجــايـــر لتنقيته من القطران والمواد المسرطنة، وبالرغم من الـتـوضـيـحات الضارة على علب السجاير ، واتخاذ القوانين الصارمة ببعض المجالات ، مـا زالــت الـسـجـايـر تشكل نسبة كبيرة من أسباب الوفيات في العالم والتي تقدر بالملايين ســنـوياً، وللأسف ما زالنا نحن في مجتمعاتنا ، كبقية بلدان العالم الثالث نروج للسجاير بوسائل الإعلام المختلفة ، فضلاً عن فقدان المراقبة لما تحويه السجاير من المواد المسرطنة والضارة ، ومن نسبة تركيزها في السجاير.
يسير العالم نحو حرب ضد السجاير والتدخين.. فحري بنا نحن المسلمين أن نكون أول من يتخذ خطوات إيجابية للوقوف أمام تفشي هذه العادة السيئة والخطيرة.
وطبقاً لتقرير منظمة الصحة العالمية، فإن التدخين يعتبر أخطر وباء عرفه الجنس البشري، والوفيات الناتجة عنه تعد أكثر الوفيات التي عرفـهـا تاريخ الأوبئة ، وخصوصاً في الدول الفقيرة، حيث تكثف شركات التدخين دعايتها، وتروج أردأ أنواع الدخان وأخطرها ضمن خطة تستهدف الربح المادي أولاً وتدمير لبنية تلك الشعوب ثانياً.
نسأل الله لكل مدخن أن يرزقه الإقلاع الفوري عن هذا الوباء القـتال.

منبر الشباب

الجرح والتعديل في ثقافتنا المعاصرة

إبراهيم بن محمد العبد الله

إذا كان موضوع الجرح والتعديل قديم الطرح ، فإن الرؤية الجديدة والصياغة الحديثة له تجعل منه موضوعاً جديراً بالبحث والدراسة والمدارسة الواسعة.
وقد تبين لي - من خلال مثاقفة بعض الـمـفـكـرين والقراءات المتعددة لكثير من الكتَّاب من أصحاب الفكرة الإسلامية - أننا بحاجة ملحة إلـى صيـاغـة هـذا الفن العلمي والتخصص النادر على واقعنا الثقافي في البلاد الإسلامية ، ولعل هذا يعتبر مـن الـواجـبــات على أهل العلم والدعاة المخلصين العارفين بالله وبعباد الله.
وعـلـى هـذا سـار علماء الجرح والتعديل الأوائل معتبرين أن جرح الضعفاء في الأمــة مــن النصيحة ، بل من الواجبات الشرعية التي ألزموا أنفسهم بها.
يقول الإمام الترمــذي - رحمه الله - مـعـلـلاً كــلام علماء الجرح والتعديل بقوله : »وإنما حملهم على ذلك - عندنا - والله أعلم : النصيحة لـلـمـسـلـمين ،

لا يظن بهم أنهم أرادوا الطعن على الناس أو الغيبة! وإنما أرادوا - عندنا - أن يبينوا ضعف هؤلاء لكي يعرفوا ؛ لأن بعضهم كان صاحب بدعة أو متهماً في الحديث - وبعضهم - كانوا أصحاب غفلة وكثرة خطأ ، فأراد هؤلاء الأئمة أن يبينوا أحوالهم شفقة على الدين وتثبيتاً له . لأن الشهادة في الدين أحق أن يتثبت فيها من الشهادة في الحقوق والأموال« اهـ . [كتاب العلل للإمام الترمذي 5/1739].

وبهذا تبين لنا أن الجرح والتعديل ضرورة ملحة وفريضة شرعية على علماء الأمة في القديم والحديث ؛ لصيانة شريعة الله عز وجل وحفظاً لسنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - من ضلالات المنحرفين وافتراءات الأعداء.

وبعد نظر ومعايشة فكرية لما يظهر في ساحتنا وأسواقنا الفكرية من أحاديث متنوعة حول »الإسلام والحل الإسلامي« لمشكلاتنا المعاصرة والملازمة للأمة الإسلامية في واقعها المتخلف أخلاقياً وعلمياً وحضارياً. فإني أرى أنه من اللازم على علماء أهل السنة الذين يملكون رؤية شمولية عن الإسلام أن يحيوا هذا المنهج السديد في حفظ دين هذه الأمة ، بالتأصيل والربط بالواقع ، لكي يتمكن أبناء الصحوة الإسلامية في عالمنا الإسلامي من الحذر من طرح رؤية وفكر أهل الباطل المتكلمين بلسان الإسلام ، وطرح الحلول لواقعنا المتخلف في جميع جوانبه وزواياه المتنوعة.

ولكي يحذر شباب هذه الصحوة من الإملاءات الفكرية في الكتب والمنشورات والمجلات التي تحمل التشكيك في صلاحية هذا الدين ، وأشد ما يحتاج إليه في هذا الأمر هو بيان حال هؤلاء الكتاب الذين يدافعون عن الإسلام ، ويحملون حماساً قوياً للإسلام ، ومع هذا كله لا يلتزمون بالإسلام سلوكاً ومعتقداً عملياً في حياتهم إنما هو الإسلام الفكري فقط .

مشاهد من المطارات العربية

محمد سليمان

كثيرة هي هموم المواطن العربي ، فرياح التغيير لم تصله بعد ، حتى يتنسم نسائم الكرامة والإنسانية ، في أوربا يستعدون لعام 1992 ، وهم الآن يتنقلون بالبطاقة الشخصية ، عند الحدود يبرز البطاقة من بعيد ، فيهز الموظف المسؤول رأسه بالموافقة ودون حاجة للتأكد ، منظر مؤلم لنفس العربي المسلم الذي لا يرى هذه المعاملة من موظفي (الحدود) ، فالشك هو الأصل ، والحسابات والهواجس تأكل رأسه قبل دخوله ، وحتى ينتهي من الإجراءات.

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

في أحد المطارات العربية كـــان أصحاب الشارات الأجنبية يدخلون دون صعوبات ، ولكن العربي (ينظر في أمره) ، وتذكرت قول شاعرنا الكبير المتنبي :

ولـكـن الفـتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

وفي مطار آخر انتظر ركاب الطـائرة ثــلاث ساعـــــات ونصف بالتمام والكمال ، حتى جاء دورهم ليتخذ الموظف المسؤول إجراءات الدخول ، هذه الشعوب التي كانت بالانتظار ليس لها أهمية عند الموظف لأنهم غير (مواطنين).

ألا يشعر هؤلاء أن هذه المعاملة تغرس في القلوب الأحقاد والضغائن ، وأنه لا أحد يستفـيـد من هذه التصرفات؟ لقد كان المسنون من المنتظرين يجلسون على الأرض من التعب ، وبـعـد كل هذا يأتي زميل الموظف المكلف ويقول له :

إذا لم ينتظموا في الدور فاتركهم حتى الصباح..!مـرحـى مـرحـى لهــــذه الإنسانية ولهذه الأخلاق.

في الصورة المقابلة وفي المطار نفسه كانت هناك أشياء إيجابية يرتاح لها المسلم ، ففي رحلة العودة ، وبعد إجراءات الخروج حانت الصلاة، فجاء عدد كبير من الموظفين للصلاة معنا، وكان سمتهم يدل على أنهم اختاروا الإسلام عن رضاً وقناعة ، وأن بعضهم عاد إلى الله من قريب ووجد الطمأنينة والراحة في كنف الإسلام. صور متناقضة لعلها تــزول قـريـباً ويعود الانسجام ، وتتوحد مظاهر السلوك في الشخصية المسلمة.

مكتبة البيان

1 - الكتاب : الجهاد الأفغاني ودلالاته.
المؤلف : الأستاذ محمد قطب.
الناشر : مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة - جدة.
حجم الكتاب : 110 صفحة من القطع الصغير.

***

2 - الكتاب : الغرباء الأولون : أسباب غربتهم ومظاهرها.
المؤلف : الشيخ سلمان العودة.
الناشر : مكتبة ابن الجوزي - الدمام.
حجم الكتاب :255 صفحة من القطع المتوسط.

***

3 - الغرب في مواجهة الإسلام : معالم ووثائق.
المؤلف : مازن المطبقاني.
الناشر : مكتبة ابن القيم - المدينة المنورة.

***

4 - صحيح سنن أبي داود باختصار السند.
المؤلف : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.
الناشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض.

***

مكتبة البيان

1 - الكتاب : الجهاد الأفغاني ودلالاته.
المؤلف : الأستاذ محمد قطب.
الناشر : مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة - جدة.
حجم الكتاب : 110 صفحة من القطع الصغير.

***

2 - الكتاب : الغرباء الأولون : أسباب غربتهم ومظاهرها.
المؤلف : الشيخ سلمان العودة.
الناشر : مكتبة ابن الجوزي - الدمام.
حجم الكتاب :255 صفحة من القطع المتوسط.

***

3 - الغرب في مواجهة الإسلام : معالم ووثائق.
المؤلف : مازن المطبقاني.
الناشر : مكتبة ابن القيم - المدينة المنورة.

***

4 - صحيح سنن أبي داود باختصار السند.
المؤلف : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.
الناشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض.

***

الأخ عبد الله حماد الجهني - الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة :

أرسل لنا قصة قصيرة ، ونحن إذ نشكره على ذلك وعلى ثقته بالمجلة نطلب منه التعمق. في قراءة أصول فن القصة القصيرة ، ونرجو أن نتسلم منه تجارب أكثر نضوجاً.

***

الأخ : محمد فرحان عبد الظاهر - الإسماعيلية - مصر:

أرسل إلينا يسأل بعض الأسئلة ونحن نجيبه على ما نستطيع منها:

1 - عنوان الأخ يوسف إسلام هو:

Br. Yosif islam
Islamia school trust / Islamic circle organisation

Difswell Street 2
London N7 8JX

2- لا ندري عن الحزب الإسلامي الألماني شيئاً ، أما الحزب الإسلامي البريطاني فيمكنك ومراسلته والحصول على معلومات عنه ، وعنوانه هو:

Islamic Party of Britain
Hazelwell House
Hazell Road
Birmingham B30 2PQ
Tel. 0860-646828

3- قضية هجرة اليهود السوفييت ننظر لها من منظار النظرة الإسلامية إلى قضية فلسطين، وإلى اليهود بشكل عام والصراع معهم الذي لم يبدأ باحتلالهم فلسطين فقط ، بل بمحاربتهم الإسلام والمسلمين منذ فجر التاريخ الإسلامي.

4 - لقد كتبنا عن الشيخ حسن البنا - رحمه الله - في العددين السادس عشر والثامن عشر.

بأقلام القراء

ضوابط الإعجاب

أحمد بن أحمد جعفري

لا شك أن المسلم يعجب بشخص النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي هو سيد ولد آدم ، وكذلك يعجب بصحابته الكرام، أولئك الذين اصطفاهم الله سبحانه لصحبة نبيه،والتربي على يديه، حتى يصبحوا مشاعل هدى للأمة من بعدهم، وما أجدرنا أن نقرأ سيرهم ونتشبه بهم فقد قيل :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاح

ومع وجود كثير من الأسماء اللامعة في تاريخ المسلمين المعاصر ممن يهتم بالدعوة إلى الله والعلم المبني على المنهج الصحيح ؛ ويستحوذون على إعجاب كثير من الأنصار والأتباع ؛ لكن لا يعني هذا عصمة هؤلاء وبعدهم عن الخطأ ، ثم التطرف في الإعجاب بهم والإقبال على ما يكتبون دون وعي ، ودون إبداء ملاحظات إن وجدت ، فينبغي أن نفهم جيداً أن لا معصوم من البشر إلا الأنبياء والرسل لا غيرهم ، وقد يخطىء هذا المفكر أو الكاتب في كتابه أو مقالته ، مما قد يطعن في بعض شرائع الإسلام ومنهج المسلمين ، عند ذلك قد تجد ، بل حتماً ستجد المعجب بمثل هذه الآراء، المتعصب لها المنقاد لها ؛ لأنهما صدرت ممن؟! صدرت من فلان الفلاني ، المفكر العلامة (الذي لا يخطىء) ، هكذا تصورهم ، نعم قد يكون بعض هذا التصور صحيحاً ، لكن ليس بهذه المبالغة التي يضعونها.

وعندما يهب بعض الصادقين المخلصين من طلـبـة العلم وغيرهم في الرد على بعض الأفكار الناتجة عن مثل هؤلاء المفكرين، عند ذلك يهب المعجبون [بدون مناقشة] لعدم تصديقهم ، وأن هذا افتراء عليه و و ...
عفواً دعونا نبحث ما الذي يدفعنا أو يدفع الكثير إلى الإعجاب المطلق، إن ثمة أشياء لعلك أيها القارئ الكريم تدركها في واقعنا المرير:
1- عدم بناء القاعدة السليمة القوية من العقيدة السليمة وعدم تغلغل هذه العقيدة في القلب.
2- عدم الوعي الكامل بما يخالف دين الله أو يطعن فيه.
3- عدم المعرفة الكاملة بحال الكاتب وإلى أي مدرسة ينتسب.
هذه بعض الدوافع ، ويمكن أن تكون ثمة أسباب أخرى .
وصلى الله على نبينا وسلم .

قديم جديد

من الأشياء القديمة المتجددة ما شكى منه المؤلفون أو الكتاب ، من الإعراض عن القراءة أو من كثرة اقتراحات القراء،وفي هذه الزاوية ننقل كلاماً للأديب عـبـاس مـحـمـود الـعـقــاد، وللشيخ محمد عبده.

ــ 1 ــــ

المقترحون والمؤلفون

بين جمهرة القراء في اللغة العربية طائفة لا ترضى عن شيء ، ولا تكف عن اقتراح ، ولا تزال تحسب أنها تفرض الواجبات على الكتاب والمؤلفين ، وليس عليها واجب تفرضه على نفسها.
إن كتبت في السياسة قالوا: ولم لا تكتب في الأدب؟
وإن كتبت في الأدب قالوا: ولم لا تكتب في القصة؟
وإن كتبت في القصة قالوا: ولم لا تكتب للمسرح؟
وإن كتبت للمسرح قالوا: ولم لا تحيي لنا تاريخنا القديم ، ونحن في حاجة إلى إحياء ذلك التراث؟
وإن أحييت التراث قالوا: دعنا بالله من هذا وانظر إلى تاريخنا الحديث ، فنحن أحق الناس بالكتابة فيه.
وإن جمعت هذه الأغراض كلها قالوا لك : والقطن؟ ومسائل العمال؟ ورؤوس الأموال؟ ، وكل شيء إلا الذى تكتب لهم فيه.
وقد شبهت هذه الطائفة مرة بالطفل المدلل الممعود: يطلب كل طعام إلا الذي على المائدة ، فهو وحده الطعام المرفوض.
إن قدمت له اللحم طلب السمك ، وإن قدمت له الفاكهة طلب الحلوى ، وإن قدمت له صنفاً من الحلوى رفضه وطلب الصنف الآخر ، وإن جمعت له بين

هذه الأصناف تركها جميعاً وتشوق إلى العدس والفول ، وكل مأكول غير الحاضر المبذول.
سر هذا الاشتهاء السقيم في هذه الطائفة من القراء معروف ، سرَّه أن الجمهور في بلادنا العربية لم »يتشكل« بعد ، وإنما نعد الجمهور القارئ متشكلاً إذا وجدت فيه طائفة مستقلة لكل نوع من أنواع القراءة ، وإن ندر ولم يتجاوز المشغولون به المئات.
وسنسمع المقترحات التي لا نهاية لها ، ولا نزال نسمعها كثيراً حتى يتم لنا »التشكيل« المنشود ، وهو غير بعيد.
العقاد : يسألونك / 192

ـ 2 ـ

»وإنا لو فرضنا أن كتاب الجرائد لا يقصدون بما يكتبون إلا نجاح الأمم ، مع التنزه عن الأغراض ، فبعد ما عمّ الذهول ، واستولت الدهشة على العقول وقل القارئون ، والكاتبون لا تجد لهم قارئاً ، ولئن وجدت القارئ فقلما تجد الفاهم ، والفاهم قد يحمل ما يجده على غير ما يراد منه لضيق في التصور أو ميل مع الهوى، فلا يكون منه إلا سوء التأثير ...«
محمد عبده : العروة الوثقى /56.

الصفحة الأخيرة

تجارة الورق

عبد القادر حامد

تقذف المطابع العربية كل يوم أكداساً هائلة من الكتب والدراسات التي تدور حول الإسلام ولكن هل يجري تقويم ونقد صحيح بعيد عن المجاملة لأكثر ما تقذف به هذه المطابع؟ الجواب : لا.
إننا نرى - مع الأسف - أن كثيراً من المؤلفين المتطفلين على مهنة العلم والتعلم يحاولون أن يثبتوا قدمهم على هذه الطريق بكثرة ما يطبعون وينشرون لأنفسهم من العناوين،وينسون أو يتناسون مدى حاجة المجتمع لما يسودون من صفحات، ويكون الهدف الأخير هو الربح المادي ، وهذه - والله - أهم آفات العلم التي تفقده الأثر والتأثير .
وكثرة هذه المؤلفات التي لا تنبع من حاجة اجتماعية صحيحة يحدث بلبلة فكرية وفوضى ثقافية إذا أضفنا إليها سهولة استغلال القارئ عن طريق فتنة أخرى هي الأشرطة المسجلة ، فإننا لا نستطيع أن نتنبأ بحدود هذه الفوضى التي لا يعلمها إلا الله.

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

وسبب هذه الفوضى المستشرية هو غياب الحدود المقاييس التي تقاس بها البحوث،وضعف النقد الذي تلجمه اعتبارات كثيرة،وتعيقه معوقات المجاملة والخوف وعدم الثقة بالنفس.
لابد من أن يكون للمسلمين مدرسة نقدية لا تخاف ولا تحابي ، تصدع بالحق ، وتستلهم منه العدة الكافية لمواجهة ما تحفل بــه ساحة العلم الشرعي في العصر الحديث من غياب المنهج.

تمت بعون الله ، والحمد لله
